لغز عين السمكة



محمود سالم

لغز عين السمكة

تأليف
محمود سالم



لغز عين السمكة

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٤٨٣ ١

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٤.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

المحتويات

أربعة لا خمسة	٧
صِراع في الظلام	١٣
شيءٌ يتحرَّك	١٧
«الماي ناه» ... يتحدث	٢١
عين السَّمكة	٢٧
ماذا فعلت «نوسة»	٣١
حدث ... ولكن	٣٧
خُطة «نوسة»	٤٣
مفاجآت	٤٩

أربعة لا خمسة

قالت «لوزة»، وهي ترفع يدَيها إلى فوق: والآن أيها المُغامِرون الأربعة لقد انتهيتُ من حَزْم حقائبي كلها ... وأنا على استعداد للذَّهاب معكم!

عاطف: من يَسمع كلمة حقائب يظنُّ أنكِ ستُسافرين إلى القمر!

لوزة: كُن صريحًا، وقُل إنك مُتضايقٌ لأنك لن تُسافر معي!

عاطف: بمُنتهى الصراحة أنا مبسوطٌ جدًّا!

لوزة: للتخلُّص مني؟

واحتضن «عاطف» أخته الصغيرة الشقيَّة وقال: أيتها المُغامرة الذكيَّة، إني مبسوطٌ لأني سأجد لُغزًا أحُلُّه وحدي، بدون مساعدتك!

لوزة: لن تكون هناك ألغاز وأنا مُسافرة ... فإني لا أشُمُّ رائحةَ ألغازٍ قريبة.

عاطف: لا بد أنكِ مُصابة بزُكامٍ.

وضحِك بقيَّة المُغامرين الذين كانوا يقِفون يُتابعون الحِوار، بين المُهرِّج الصغير «عاطف» وشقيقته اللطيفة «لوزة»، التي تُقرِّر أن تُسافر إلى بيروت لقضاء أسبوعَين في ضيافة خالها.

قال «محب»: والآن هيَّا إلى منزلنا!

تختخ: لست أفهم لماذا أنت مُصرٌّ على الذَّهاب إلى منزلكم يا محب؟ لماذا لا نذهب إلى «الكازينو» مثلًا ونقضي أطولَ وقتٍ ممكن قبل سفر «لوزة» هذا المساء إلى «بيروت»؟

نوسة: إنني أيضًا مُصرَّة على أن نذهب إلى البيت!

وأمام إصرار «نوسة» و«محب» ركِب الجميع درَّاجاتهم، وانطلقوا في شوارع المعادي الهادئة ... وخلفهم «زنجر» وهو يرجو أن تنتهيَ هذه الرحلة نهايةً سعيدة ... وبالنسبة له كانت سعادته أن يجد قطعةَ لحمٍ شهيَّة ... ومغامرةً إذا أمكن.

وقد تحقَّقت أمنيَّة «زنجر»؛ فعندما وصلوا إلى بيت «محب» و«نوسة» وجدوا في انتظارهم حفلةً ظريفة أعدَّتها «نوسة» وشقيقها احتفالًا بسفر «لوزة»، وقد وضعا في حسابهما «زنجر» طبعًا، فقدَّمت له «نوسة» قطعةَ لحمٍ ضخمة أُعدَّت خصوصًا له.

كانت مفاجأةً لطيفة ... فأسرعت «لوزة» ... تُقبِّل صديقتها العزيزة وتشكرها بحرارة على فِكرتها.

وجلس «تختخ» أمام قطعة «تورتة» كبيرة، وانهمك في الطعام حتى إنه لم يُلاحظ «عاطف» الذي كان يقف في طرف المائدة، يُشير إلى «تختخ» بطريقةٍ ساخرة، فحبس الأصدقاء أنفاسهم حتى لا يشعر «تختخ» بما يدور حوله.

ظلَّ «تختخ» يأكل حتى سمع صوت «عاطف» يصيح: قِف!

والتفت «تختخ» وفمه محشوٌّ بقطعةٍ كبيرة من «التورتة». ونظر إلى العيون التي ترمُقه مدهوشًا، وعاد «عاطف» يقول: لقد زاد وزنك ثلاثة كيلو في ربع الساعة الأخير ... ولن تصلُح للمغامرات بعد الآن!

وانفجر الأصدقاء ضاحكين، وعاد «عاطف» يقول: لقد رأيتك وأنت تتخن تدريجيًّا، ومسكينةٌ هذه الثياب التي تحتويك ... إنها ستتمزَّق!

وكفَّ «تختخ» عن المَضغ، وازدَرَد قطعة «التورتة» مرةً واحدة، وقال: أنت دائمًا تتدخل لإفساد شهيَّتي.

عاطف: لا أظن أن هناك شيئًا في العالم يمكن أن يُفسِد شهيَّتك إلا إذا استطاع الشاويش «فرقع» مثلًا أن يعرف مكاننا الآن، ويدخل علينا ... ولم يكَد «عاطف» ينتهي من جملته حتى حدَث ما لم يكن في الحُسبان، ودخل الشاويش «فرقع» الغرفة وخلفه الشَّغالة تُحاول منعه.

وقف «عاطف» مذهولًا، واتَّجهت أنظار بقيَّة الأصدقاء بينه وبين الشاويش، كأنهم يتَّهمونهما بتدبير هذا اللقاء ... ولكن الشاويش لم يلتفت إلى ما في العيون من نظرات، واتَّجه إلى «لوزة» وقال: علِمت أنكِ مسافرةٌ اليوم.

قالت «لوزة» مُضطربةً: نعم يا حضرة الشاويش، سأُسافر في طائرة السادسة مساءً إلى «بيروت»، هل هناك ما يمنع؟

الشاويش: أبدًا ... أبدًا ...

محب: إذن ماذا حدَث يا حضرة الشاويش حتى تقتحم الغُرفة بهذا الشكل؟

بدا الحرج على وجه الشاويش وقال: آسف جدًّا ... إنني في الحقيقة ...

تختخ: وكيف عرفت أنها مسافرة يا حضرة الشاويش؟

الشاويش: قابلت شغَّالتهم منذ ربع ساعة في السوق، وقالت لي إن «لوزة» مسافرة ...

عاطف: فحضرت لتوديعها.

ازداد حرج الشاويش وقال: تقريبًا ...

نوسة: لقد نسيت واجب الضيافة ... تفضَّلْ يا حضرة الشاويش وخذ قطعة من «الجاتوه» وكوبًا من الشاي.

الشاويش: شكرًا لكِ ... ولكن ...

نوسة: لا يمكن أن تخرج قبل أن تتناول شيئًا.

وجلس الشاويش وقد هدأت أعصابه، وبعد أن الْتَهم قطعتَين من «الجاتوه»، وشرِب أول رَشْفة من الشاي، قال: لقد جئتُ في الحقيقة لأني أُريد شراءَ شيءٍ صغير جدًّا من «بيروت»، وقد تصوَّرت أن «لوزة» لا تُمانع ...

قالت «لوزة»: طبعًا يا حضرة الشاويش، أي شيء تريده سأُحضِره لك إلا شيئًا واحدًا.

وبدا الشاويش جادًّا يقول: إلا ماذا؟

قالت «لوزة» ضاحكةً: إلا إذا طلبت منِّي القبض على عصابة تهريب مثلًا؛ فإني لا أستطيع القبض عليها وحدي.

قال «عاطف»: أو ربما يريد شراء آثار «بعلبك»؛ فهي غالية قليلًا.

قال الشاويش: أبدًا ... أبدًا ... إنه شيءٌ بسيط جدًّا يُساوي عشرة قروش.

وابتسم الأصدقاء جميعًا، والتفُّوا حول الشاويش يُلاطِفونه بعد أن عرَّف «لوزة» بالشيء الذي يريده ... وكادت الجلسة تنتهي نهايةً سعيدة لولا أن «زنجر» كان قد انتهى من قطعة اللحم، فأقبل مُسرِعًا وباشَر هوايته المفضَّلة في مداعبة قدمَي الشاويش الذي هبَّ صارخًا لاعنًا ... وكما دخل كالعاصفة أسرع يُغادر الغُرفة برغم محاولة الأصدقاء استبقاءه.

انتهى الحفل اللطيف، وخرج الأصدقاء إلى الحديقة، وأخذوا يتحدَّثون، وقام «تختخ» بالاتصال بمنزله تليفونيًّا، ورجا والدته استضافة الأصدقاء جميعًا على الغداء، فوافقت مرحِّبةً.

وعندما حان مَوعد الغداء انتقلوا جميعًا إلى منزل «تختخ» حيث قاموا بتناول وجبة شهيَّة ... وفي الرابعة كانوا جميعًا يستقلُّون سيارة والد «نوسة» متَّجِهين إلى المطار ... وفي الطريق قال «تختخ» مُداعبًا «لوزة»: هل أنتِ خائفة من ركوب الطائرة؟

لوزة: أخاف؟ على العكس ... إنني متحمِّسة جدًّا!

تختخ: إنك وحدَك.

لوزة: إن هذا يجعل مغامرة الركوب أكبر.

عاطف: إن أُسرة خالك ستكون في انتظارك بمطار «بيروت».

لوزة: لا تخَفْ عليَّ ... إن في استطاعتي السفر إلى «أستراليا» وحدي.

ووصلت السيَّارة بهم إلى المطار، وظلُّوا هناك حتى ارتفعت الطائرة في الجو وعادوا جميعًا.

وعندما وصلوا المعادي كان الظلام قد بدأ يهبط ... وخفَّت حِدَّة الحرارة، وقال «تختخ» لوالد «عاطف»: إن «لوزة» سافرت، وسيبقى «عاطف» وحده، هل عندك مانع يا عمِّي أن يقضيَ معي بضعة أيام؟

قال والد «عاطف» ضاحكًا: لا مانع يا ولدي مُطلَقًا.

وهكذا انطلق الأصدقاء الأربعة إلى منزل «تختخ» وقضَوا ساعتَين يلعبون ويتحدَّثون، وفجأةً سمِعوا صفَّارات سيَّارات الشُّرطة تدوِّي في الشارع، ثم توقَّفت غيرَ بعيد عن منزل «تختخ»، فقال «محب»: ماذا حدَث؟

تختخ: لا أدري ... ولكن يبدو أن السيَّارات وقفت قريبًا من منزلنا.

عاطف: تعالَوا نرى ماذا يحدُث ...

وأسرع الأربعة بالخروج ... كانت السيارات تُحيط بـ «فيلَّا» قريبة ... وكان ثَمَّة شخصٌ يُصدِر أوامره، لم يكَد الأصدقاء يسمعون صوته حتى عرفوا أنه المفتِّش «سامي».

قالت «نوسة»: شيءٌ مُثير ... المفتِّش «سامي» هُنا!

تختخ: لو كانت «لوزة» هنا لقالت إنه لُغز.

نوسة: نعم ... لقد أوحشَتنا برغم أنه لم تمضِ ساعات على سفرها.

وتقدَّم الأربعة من المفتِّش الذي حيَّاهم، وقد بدا عليه أنه مُتعَب ومُرهَق، فسأله «تختخ»: ماذا هناك؟

ردَّ المفتِّش بعصبية: هناك ... هناك خطأٌ وقعنا فيه.

تختخ: لا أفهم.

المفتش: لقد وصَلنا بعد فوات الأوان.

تختخ: هل هناك جريمة؟

المفتش: نعم ... جريمةٌ راحَ ضحيَّتَها رجلٌ كنَّا نُراقبه منذ فترة طويلة ... كنَّا نشكُّ فيه، وهو أجنبي يُجيد اللغة العربية، ويحمل جواز سفر عربيًّا مزيَّفًا ... وهذه حقائق كنَّا نعرفها.

تختخ: ولماذا لم تقبضوا عليه؟

المفتش: لم نكُن نريد القبض عليه ... كان يهمُّنا أن نُراقبه فقط، وقد تركناه يدخل البلاد، ويُمارس نشاطه ونحن نُراقبه، فلم يكُن هو المهم، ولكن شبكة التجسُّس التي كان عُضوًا فيها ... كنَّا نريد أن نصل عن طريقه إلى هذه الشبكة ... ولكنهم استطاعوا معرفة الحقيقة، فقضَوا عليه قبل أن نستفيد منه كما كنَّا نرجو.

محب: أليس هناك طريقةٌ أخرى للوصول إلى بقيَّة الشبكة؟

المفتش: لا ... كان هو دليلنا الوحيد ... كان هو الخيط الذي نأمُل أن يصِلنا بالشبكة ... والآن انقطع الخيط.

عاطف: لعلَّهم تركوا أدلَّة في مكان الحادث تدلُّ عليهم.

المفتش: نرجو ذلك ... وإن كنت لا أتوقَّع.

تختخ: هل نستطيع دخول «الفيلَّا»؟

المفتش: ليس الآن ... فهناك الخُبراء يقومون بعملهم ... وهناك بعض رجال الأجهزة المسئولة!

نوسة: ألا نستطيع أن نحصُل على معلوماتٍ يمكن أن نُساعدكم بها على حل لُغز هذه الجريمة؟

هزَّ المفتش رأسه قائلًا: آسف جدًّا ... هذه المرَّةَ لا دور لكم؛ فقضايا التجسُّس تحتاج إلى كِتمانٍ شديد في كل ما يتَّصل بها ... ولا أستطيع أن أزيد كلمةً واحدة، بل إني أرجوكم أن تنسَوا ما قلتُه لكم عن الرجل وعن الشبكة ... وإنني أثق فيكم.

وابتعد المفتش، ووقف الأصدقاء الأربعة بعيدًا يرقُبون ما يحدُث ... وكان الشاويش «فرقع» قد وصل، وأخذ ينظر لهم من بعيد في سخرية ... فقد كان يعرف أنهم لن يستطيعوا هذه المرة التدخُّل ... فالمسألة كما يقول في نفسه «ليست لعب عيال».

قال «محب»: إني أتذكَّر «لوزة».

تختخ: وأنا أيضًا.

عاطف: لو كانت موجودةً لما تركت هذا اللغز يَفلت من أصابعها.

نوسة: كانت ستَقلب الأرض بحثًا عن دليل.

تختخ: وهل تظنُّون أننا سنسكت؟! هل يَقبَل المغامرون الخمسة أن تقع جريمة بجِوارهم ولا يكون لهم دور في حلِّها؟

نوسة: ولكننا لم نعُد خمسة ... إننا أربعة.

تختخ: لن ننسى «لوزة» برغم سفرها ... ولن نترك هذه المسألة تمرُّ بدون أن نشترك فيها.

صِراع في الظلام

انصرف «محب» و«نوسة»، وذهب «تختخ» و«عاطف» معًا، وعندما صعِدا إلى غُرفة «تختخ» وقَفا معًا في الشُّرفة يرقُبان ما يحدُث ... كانت «الفيلَّا» التي وقَعَت فيها الجريمة ليست بعيدةً عن شُرفة غُرفة «تختخ»، وكان في إمكانهما — إذا انثنيا إلى الأمام — أن يرَيا جزءًا منها ... وبعد ساعة كانت سيَّارات رجال الشرطة قد انصرفت، ولم يبقَ إلا الشاويش «فرقع» يحرس الباب.

ظلَّ الصديقان ساهرَين حتى منتصف الليل تقريبًا، ثم أوى كلٌّ منهما إلى فِراشه، فاستسلم «تختخ» للرُّقاد سريعًا، أما «عاطف» فظلَّ يتقلب وهو يتذكر «لوزة» التي سافرت وحدها ... ويدعو الله أن تصل سالمةً إلى «بيروت» ... وعندما نظر في ساعته وجدها الثانية صباحًا وهو لم يشعر برغبة في النوم، وقرَّر أن يخرج إلى الشُّرفة قليلًا ... فقام على أطراف أصابعه حتى لا يُوقِظ «تختخ»، ثم فتح باب الشُّرفة برفقٍ شديد وخرج ... وتذكَّر على الفور ما حدَث في «الفيلا» القريبة، فانثنى إلى الأمام يرقُبها ... كانت غارقة في الظلام ... وظلَّ يتأمَّلها لحظاتٍ وذِهنُه يدور حول المعلومات التي سمِعها من المفتِّش «سامي»، ثم دار ليدخل الغُرفة بعد أن أحسَّ بالنوم يُداعب جَفنَيه ... ولكن في تلك اللحظة حدَث ما جعله يعود إلى مكانه ... فقد رأى — أو خُيِّل إليه أنه رأى — ضوءًا في «الفيلا» ... ضوءًا يتحرك بسرعة ثم يختفي ... يتحرك ثم يختفي ... وخُيِّل إليه أنه واهم ... وفرَك عينَيه بشِدَّة ثم عاوَد النظر ... وكان من مكانه العالي يستطيع أن يرى ما لا يراه من يقف أمام «الفيلا» ... فدقَّق البصر لعلها تكون أضواء سيَّارات تنعكس على زجاج «الفيلا» الخلفي حيث كانت هناك بعض النوافذ «الكريتال»، ولم تكن أضواء سيَّارات مُطلَقًا ... هل هناك غريب في «الفيلا»؟ هل هو من رجال الشرطة؟ ولكن إذا كان من رجال الشرطة، فلماذا

يستخدم هذا الضوء الرفيع المتحرِّك؟ إن من المؤكَّد أن الضوء يصدُر من شيءٍ متحرِّك … بطَّارية في يد شخص يتحرَّك … فمن هو؟

وتوتَّرت أعصاب «عاطف»، وقرَّر أن ينزل ليرى … ولكن كيف يُمكِنه النزول وهو ليس في منزله؟! ليس أمامه إلا أن يوقظ «تختخ» ويُشرِكه في المسألة.

وهكذا دخل مُسرِعًا وأخذ يهزُّ «تختخ» ويُناديه ليستيقظ سريعًا قبل أن تفوت الفرصة ويختفيَ الضوء.

واستيقظ «تختخ» وجلس في الفِراش مدهوشًا، فقال «عاطف» بسرعة: «تختخ»، إني أرى ضوءًا يتحرك في «الفيلا» التي وقعت فيها الحادثة.

قال «تختخ»: ماذا؟ ضوءٌ يتحرك؟

عاطف: نعم … البس ثيابك بسرعة وهيَّا بنا!

كان «تختخ» قد استكمل يقظته فقام مُسرِعًا، وارتدى قميصًا وبنطلونًا وحذاءً خفيفًا مِثل «الكاوتشوك»، وأسرعا ينزلان، وقال «تختخ»: إذا كان هناك شخص في «الفيلا»، فكيف دخل والشاويش يحرسها؟

عاطف: لعله اعتدى على الشاويش!

تختخ: أو دخل من الباب الخلفي، فأكثر «الفيلات» لها أكثر من باب.

عاطف: إذن تعالَ ندخل من باب الحديقة.

وقفزا سور الحديقة الخلفي بسرعة، ثم اقتربا بهدوء … وكان استنتاجهما صحيحًا؛ فقد كان باب «الفيلا» الخلفي مفتوحًا … وتسلَّلا على أطراف أصابعهما إلى الداخل وهما يُرهِفان السمع لكل صوت … وكان الباب يؤدي إلى مطبخ «الفيلا» … ثم إلى دِهليزٍ طويل … وفي نهاية الدهليز كانت غُرفة الصالون، ومن بعيد … من نهاية الدهليز شاهَدا شبَحَين يتحركان وفي يد أحدهما بطارية يُطلِق ضوءها في دائرةٍ مُتحركة … وانسحبا إلى الخلف وقال «عاطف»: تعالَ نذهب إلى الشاويش «فرقع» ونُبلِغه بما حدَث؛ فقد يكونان مسلَّحين.

تختخ: أخشى أن يُحدِث بحذائه الثقيل صوتًا ينبِّه الشبَحَين، أو إذا خرَجنا أضَعنا الفرصة.

عاطف: إذن اذهب أنت إلى الشاويش … وسأبقى هنا لأرى ما يحدث.

وقبل أن يتحرك «تختخ» حدَث ما لم يكُن في الحُسبان: سمِعا صوت أقدام مُسرِعة في الدهليز … وعندما التفَتا كان الشبحان قد أصبحا أمامهما تمامًا … ثم امتدَّت ذِراع في لكمةٍ قوية أصابت وجه «عاطف» … فسقط على الأرض … وقبل أن تمتدَّ اليد الأخرى

إلى وجه «تختخ» كان قد أطلَق ساقه في ركلةٍ قوية أصابت الشبح ثم انقضَّ على الآخر ... وكان «عاطف» قد قام من سقطته واشتبك مع الرجل الآخر، والْتَحم الأربعة في صراعٍ قوي ... وكان صوت اللَّكمات والرَّكلات يرتفع في الظلام ... وفجأةً ارتفع في سكون الليل صوتُ صفَّارة ... وأدرك الأربعة أن الشُّرطيَّ قد تحرَّك ... وهكذا تحرَّك الشبحان سريعًا ... واستطاعا أن يُنهِيا الصراع بإسقاط «تختخ» و«عاطف» على الأرض ... ثم انطلقا جريًا في الظلام.

وسمِع الصديقان صوت أقدام تجري ... وصوت الصفارة يدوِّي ... ثم سمِعا طلقة رصاص ومحرِّكًا يدور ... وسيارةً تبتعد ...

وصل الشاويش إلى مدخل «الفيلا» والصديقان يخرجان، فرفع بندقيَّته، وطلب منهما أن يقفا حيث هما، وقال «تختخ»: إننا لسنا لِصَّين ... لقد كنَّا نُحاول القبض على اللِّصَّين.

قال الشاويش في صوتٍ خَشِن: وما لكما وهذا؟

ردَّ تختخ: دعنا من هذا الحِوار يا شاويش وتصرَّفْ بسرعة.

قال الشاويش في سخط: إنك لن تعلِّمني عملي، تعالَيا معي إلى الداخل.

وأطاع الصديقان وهما ينفُضان ثيابهما، ويتحسَّسان مكان الإصابات التي حدَثت في أثناء الاشتباك، ثم قال «تختخ»: إن المفتِّش «سامي» سيهمُّه أن يعلم ما حدَث ... فاتَّصل به يا شاويش «علي» فورًا.

وقف الشاويش مُترددًا لحظةً ثم رفع سمَّاعة التليفون، واتَّصل بالمفتش «سامي» وروى له تفاصيل ما حدَث ... وطلب المفتش الحديث إلى «تختخ»، وسمع منه كل ما حدث، ثم قال: سأحضر فورًا فلا تنصرفا.

اطمأنَّ الشاويش إلى أنه أدَّى واجبه، وقال لهما إنه كان يقف أمام باب «الفيلا» عندما خُيِّل إليه أنه يسمع أصواتًا تصدُر من داخلها، فأخذ يستمع، وعندما تأكَّد من صِدق الأصوات أطلق صفارته، وعندما اقترب من الباب الخلفي كان اللصَّان يجريان فجرى خلفهما، ولكنهما كانا يسبقانه بمسافةٍ طويلة، وكانت هناك سيَّارةٌ دائرة في انتظارهما فانطلقا بها ... وقد أطلق الرَّصاص على السيارة، ولكنه ليس مُتأكدًا أنه أصاب أحدًا.

أخذ الصديقان يتجوَّلان في «الفيلا» ... كان السؤال الذي يدور في ذهنهما هو: عن أيِّ شيءٍ كان الرَّجلان يبحثان في «الفيلا»؟ وهل لهما علاقة بالجريمة التي وقَعت مساءً؟

ظلَّا يدوران داخل «الفيلا» بدون أن يصلا إلى إجابة ... وبعد نصف ساعة تقريبًا انضمَّ إليهما المفتش «سامي»، وأخذ الثلاثة يبحثون معًا عن إجابة عن السؤالين.

شيءٌ يتحرَّك

قال «عاطف»: إن ما لفت نظري هو حركة الضوء في «الفيلا» … لم يكن ضوءًا يتحرك يُنير الطريق لشخص … ولا للبحث عن أشياء ثابتة … لقد كان الضوء يُطارد شيئًا يتحرك.

المفتش: شيءٌ مُدهِش … ولكن ما هو هذا الشيء؟

عاطف: هذا ما يجب أن نبحث عنه جيدًا … إلَّا إذا كان الرَّجلان قد حمَلاه معهما …

تختخ: على العكس … إن المعركة التي دارت بيننا لم تكن تسمح لهم أن يحتفظوا بهذا الشيء … إلا إذا كان صغيرًا يوضع في الجَيب مثلًا.

عاطف: أقترح أن نذهب إلى حيث دار الصراع … لعلَّنا نجد شيئًا …

كانت خطوةً موفَّقة تلك التي اقترحها «عاطف»؛ فعندما أناروا مدخل «الفيلا» الخلفي، وبحثوا جيدًا، وجدوا سلسلة مفاتيح … وساعة يد لم يكَد يفحصها المفتش حتى قال: إنها ليست ساعةً عادية … إن بها «كاميرا» للتصوير دقيقة جدًّا …

وعند تجرِبة المفاتيح على الأبواب اتَّضح أن هناك ثلاثة مفاتيح لفتح «الفيلا»، ومِفتاحَين ليس لهما علاقة ببقيَّة الأبواب. وقال المفتش مُعلقًا: إن المِفتاحَين لهما كل الأهمية، وقد يوصِّلانا إلى أماكن يتردَّد عليها هؤلاء الجواسيس.

ولكن السؤال الهام بقي … ما الذي كان يبحث عنه الرَّجلان؟ وسأل «تختخ» «عاطف»: هل تذكُر اتجاه الأضواء … إلى أعلى أو إلى أسفل؟

عاطف: أعتقد أنها كانت ترتفع أحيانًا وتنخفض أحيانًا أخرى.

تختخ: دعونا نفتِّش الغُرف جيدًا … غُرفةً غُرفة وركنًا ركنًا … وحتى الشُّرفات يجب البحث فيها.

وبدءوا عملهم … وفجأةً وقَع بصر «تختخ» على قفصِ طائرٍ مفتوح … ولم يكُن الطائر فيه، فسأل «تختخ» المفتش: هل رأيت هذا القفص من قبل؟

المفتش: نعم ... عندما جئنا لتحقيق الحادث، وكان به طائرٌ أسوَد اللون.

تختخ: ولكن الطائر غير موجود ... هل هو الشيء الذي كانا يبحثان عنه؟

عاطف: لا بد أنه هو ... لقد قلتُ لكما إنهما كانا يُطاردان شيئًا حيًّا ... ومن غير المعقول أنهما كانا يُطاردان قطةً أو فأرًا ... لا بد أنه ذلك الطائر.

المفتش: ولكن لماذا؟

تختخ: مَن يدري ... على كل حال إذا عثَرنا على الطائر قد نجد الإجابة.

أخذ الثلاثة يدورون في أنحاء «الفيلا» بحثًا عن الطائر ... وفجأةً سمِع «تختخ» صوت خَرفشة يصدُر من تحت السُّلَّم الذي يتوسَّط «الفيلا» ... فأسرع إلى هناك ... وصاح بالمفتش و«عاطف» يستدعيهما ... كان المكان تحت السُّلَّم مُظلِمًا، والطائر أسوَد اللون، فلم يكُن في الإمكان الإمساك به، وأخذ يطير هنا وهناك ... وهم يَجْرون خلفه حتى تعِب أخيرًا، وسقط على الأرض وصدرُه يرتفع وينخفض سريعًا ... وتقدَّم منه «تختخ» ومدَّ يده وأمسكه.

كان طائرًا أسوَد اللون ... أحمر المِنقار ... يدور برأسه من الخلف شريطٌ أصفر، ويبلُغ طوله حواليَ ٢٠ سنتيمترًا ... ووقف الثلاثة يتأمَّلونه، وأخذ المفتِّش يفحص جسم الطائر وساقَيه الصفراوَين بحثًا عن رسالة أو أي شيء، ولكن لم يكن هناك شيء على الإطلاق.

هزَّ المفتش رأسه قائلًا: لا أجد به شيئًا يستحقُّ الاهتمام!

تختخ: لعلهما كانا يبحثان عن شيءٍ آخَر.

المفتش: أرجِّح أنهما لم يكونا يبحثان عن هذا الطائر الأسود؛ فليس فيه شيء له علاقة بالتجسُّس ... كل ما هُنالك أنه طائرٌ غريب، لا أعتقد أني رأيت مِثله من قبل.

عاطف: فعلًا ... إنه شديد الغَرابة ... وليس في بلادنا طائرٌ مِثله ... إلا أنه يُشبِه الغُراب.

تختخ: ولكن الغُراب أبيض المِنقار ... وضخم في الحجم، أما هذا الطائر فهو طويل ورفيع.

المفتش: على كلٍّ احتفِظا به معكما؛ فلست أدري ماذا أفعل به ... ولكن حافِظا عليه؛ فقد تكون له أهمية لا نعرفها، وسأُواصل مع رجالي البحثَ عن الشيء الذي أتى من أجله الجاسوسان، وتستطيعان الآن الانصراف، وشكرًا لكما.

وضع «تختخ» الطائر في قفصه، ثم حمَله وخرجا معًا ... وبعد خطوات قليلة قال «تختخ»: سآخذ الطائر إلى «نوسة»، إنها تُحبُّ الطيور جدًّا ... ولعلها تعرف عنه أكثر مما نعرف ...

واتَّجه الصديقان إلى المنزل، وكانت الساعة قد أشرفت على الرابعة صباحًا ... فوضع «تختخ» الطائر بهدوء على مكتبه، ثم استسلم هو و«عاطف» للرُّقاد.

استسلم «عاطف» للنوم فورًا ... ولكنه استيقظ مذعورًا بعد دقائق، لقد سمِع صوتًا غريبًا يتحدث ... ومدَّ يده سريعًا إلى مِفتاح النور، وأضاء الغُرفة، ونظر حوله، ولكن لم يكُن هناك شيء على الإطلاق سِوى «تختخ» الذي كان نائمًا تمامًا.

تأكَّد «عاطف» أنه كان يحلُم، وعاد مرةً أخرى فأطفأ النور، واستسلم للنوم ... ولكن مرةً أخرى خُيِّل إليه كأنه يسمع صوتَ رجلٍ يتحدث ...

استيقظ «عاطف» مرةً أخرى وأضاء النور، ومرةً أخرى لم يجِد شيئًا، ولكنه هذه المرةَ لم يعُد إلى النوم ... لقد غادَر الفِراش وفتَّش الغُرفة جيدًا ... ولكنه لم يجِد شيئًا، وخرج إلى الشُّرفة، ولكن لا أحد هناك.

عاد «عاطف» إلى الحجرة مرةً أخرى، وأخذ ينظر إلى نفسه في المِرآة. كانت هناك إصابة من لكمةٍ تحت عينَيه، وكان شعره منكوشًا، وهزَّ رأسه قائلًا: لا بد أني مُضطرب الأعصاب بعد أحداث الليلة، وسأنام هذه المرة ... ولن أستسلم لهذه الخيالات.

ومرةً أخرى أوى إلى فِراشه، وأجبر نفسه على الاستسلام للنوم، وراح يغطُّ في نومٍ عميق ... وعندما استيقظ الصديقان في اليوم التالي، أسرعا باستدعاء «محب» و«نوسة»، وروَيا لهما ما حدَث في الليل، ثم قدَّما لهما الطائر العجيب.

أخذت «نوسة» تتأمل الطائر الأسوَد في قفصه ... كان يقف ساكنًا بمِنقاره الأحمر الطويل، وجسده الرشيق، فاقتربت منه وهي تفكِّر بعمق ... إنها أوَّل مرَّة تقع عيناها على هذا النوع من الطيور ... وبرغم هوايتها القديمة للطيور والأنواع التي تُربِّيها، فلم يسبق لها أن رأت مِثله.

كان ما يهمُّها أولًا أن تبحث عن نوع الطعام الذي يأكله ... ولم تكُن في حاجة إلى تعبٍ كثير؛ فقد وجدت في القفص بقايا فاكهة ... عنب ... وكُمثرى ... وأسرعت إلى الثلَّاجة، وعادت بقطعة من العنب وحبَّة من الكُمثرى وبعض المياه ... وبحذرٍ شديدٍ وضعت كل هذا داخل القفص. وكم كانت فرحتها عندما انقضَّ عليها الطائر يأكل في نهمٍ شديد ... وكان واضحًا أنه شديد الجوع.

وفكَّرت «نوسة» قليلًا ... أين تعثُر على معلومات عن هذا الطائر؟! وتذكَّرت دائرة معارف الأولاد الضخمة التي اشتراها والدها لها هي و«محب» ... دائرة المعارف المكوَّنة

من ١٥ جزءًا باللغة الإنجليزية ... لا بد أنها ستجد فيها معلومات ... وأسرعت تستأذن الأصدقاء في العودة إلى البيت، وتركتهم يتحدثون.

وعندما فتحت المجلَّد الأول، قرأت الفهرس أولًا حتى وجدت باب الطيور في المجلد الثالث، فأسرعت تُخرِج المجلد، ثم أخذت تتصفَّحه ... كان باب الطيور يَشغَل ١٥ صفحةً كاملة ... ولو قرأته كله فسيستغرق بعض الوقت، فمضت تنظر في الصفحات المخصَّصة للصور ... ثم أخذت المجلد معها، وعادت إلى الأصدقاء، ولكنها وجدتهم قد ذهبوا إلى «الفيلا» المُجاورة، وكان الطائر ما زال ماضيًا في تناوُل طعامه، وأخذت تنظر إليه وتُقارن بينه وبين صور الطيور التي أمامها ... وبعد أن قلَّبت نحو ٦ صفحات عثَرت عليه ... ودقَّ قلبها فرحًا ... إنه هو تمامًا ... القَوام الرشيق المسحوب نفسه ... اللون الأسود نفسه ... المِنقار الأحمر نفسه ... الطاقية الصفراء التي تُحيط برأسه من الخلف نفسها!

كان هو الطائر رقم ٣ في اللوحة رقم ٣٠ الخاصة بالطيور، وأخذت تقرأ المعلومات: طائر التِّلال الهِندي «ماي ناه» ... طوله ١١ بوصة تقريبًا، ينتمي إلى فصيلة ساكنة التلال من طيور «الماي ناه» في آسيا الجنوبية وجُزُرها ... وقدرة طائر «الماي ناه» على تقليد صوت الإنسان أكبر من قدرة الببغاء ... و«الماي ناه» يعيش في الغابات، ويبني عُشَّه في الحُفَر الموجودة في جذوع الأشجار العالية ... وطعامه المفضَّل هو الفاكهة ...

لم تملك «نوسة» نفسها من القفز صائحةً: إنه يتحدث ... يتحدث ... ووقَع الكتاب منها ... ودخلت والدة «تختخ» عليها فخجِلَت «نوسة» من مَوقِفها.

قالت الأم: ما لك يا «نوسة»؟

نوسة: لقد وجدت شيئًا هامًّا يتعلق بلُغز.

الأم: هل عُدتم إلى الاهتمام بهذه الأشياء التي تُسمُّونها الألغاز والمغامرات؟!

وهزَّت الأم رأسها ... وفي تلك اللحظة دقَّ جرس التليفون ... وقبل أن تستدير الأم لتذهب، سمِعا معًا صوتًا يقول: ألو ألو ... لا ... لا ... لا، عين السَّمكة ... لا ... الهرم ... عين السَّمكة ... كلب ...

وذُعرت الأم ... وذُعرت «نوسة» أيضًا، ثم تذكَّرت طائر «الماي ناه» المتحدِّث، وصاحت: إنه يتكلم ... يتكلم ... شيءٌ خارق!

وأسرعت الأم خارجةً وهي لا تدري ما الذي جرى في الدنيا!

«الماي ناه» ... يتحدث

أسرعت «نوسة» ... تأخذ ورقةً وقلمًا، وتكتب الكلمات التي سمِعتها من «الماي ناه»، ثم جلست بجِواره، وأخذت تُعابِثه وتدفعه إلى الكلام ... أخذت تقول له: كيف جئتَ من جنوب آسيا إلى هُنا؟

وطبعًا كانت متأكِّدةً أنه لن يُجيب ... إنه فقط يردِّد ما يسمعه من كلام ... فكان يردُّ عليها: آسيا ... آسيا.

نوسة: ألو ... ماذا تقصد بكلب؟

الطائر: عين السَّمكة ... عين السَّمكة ... كلب.

نوسة: ألو ... الهرم ... ماذا في الهرم؟

الطائر: ألو ... الهرم ... الهرم ... الصور.

نوسة: ألو ... الصور ... ما هي الصور؟

الطائر: ألو ... الصور ...

نوسة: ألو ... الصور ... الهرم ...

الطائر: ألو ... الصور ... الهرم ... ماي ... ماي.

نوسة: ماي ... ماي ... ماي، ماذا بعد ذلك؟

الطائر: الهرم ... ألو ... الهرم ... طائرات.

نوسة: ألو ... طائرات ...

الطائر: طائرات ... طائرات ...

ظلَّت «نوسة» تُناقش الطائر وتستجوبه ... ولكنه لم يردِّد إلا هذه الكلمات، فحمَلت القفص وخرجت إلى الحديقة في انتظار عودة الأصدقاء.

جلست «نوسة» في الحديقة تتحدث مع الطائر ... وكان بعض الجيران يقفون في الشُّرفات يتفرَّجون عليها وهي تتحدث مع الطائر وتكتب ... كان مَنظرًا يستحقُّ الفُرجة!

عاد «تختخ» ... ولم تكد «نوسة» تراه حتى صاحت: أشياء مُدهِشة ... لقد حلَلتُ لكم لُغز الطائر.

تختخ: صحيح؟!

نوسة: طبعًا ... إنه طائرٌ يتكلم مِثل الببغاء.

فتح «تختخ» عينَيه على اتِّساعهما، وتقدَّم منها قائلًا في استغراب: صحيح؟

نوسة: صحيح ... صحيح ... ألا تصدِّقني؟

تختخ: إن هذا مهمٌّ جدًّا ... جدًّا ... جدًّا.

نوسة: وهو حقيقيٌّ وصحيح جدًّا ... جدًّا ... جدًّا.

تختخ: وهل سِمعتِ ما قال؟

نوسة: وكتبته في ورقة.

تختخ: عظيمٌ جدًّا، وسيصل «محب» و«عاطف» بعد لحظات ... فقد كنَّا نقوم بجمع بعض المعلومات.

ووصل «محب» و«عاطف»، وصاح «تختخ» بهما: أخبار في غاية الخطورة ...

والتفَّ الأصدقاء الأربعة حول الطائر، وعقَدوا أول اجتماع، وقدَّمت «نوسة» تقريرها عن الطائر في كلماتٍ مُوجَزة، ثم أخرجت الورقة التي معها وأخذت تقرأ عليهم ما سجَّلت من حديث الطائر: عين السَّمكة ... الصور ... الطائرات ... الهرم ... كلب ...

محب: هذه الكلمات لا معنى لها ... مُتفرقة ... ولكن لا بد لها من معنًى هام!

عاطف: أقترح أن نتَّصل بالمفتش «سامي» فورًا، ونرويَ له ما سِمعناه الآن من «نوسة».

وأسرع «تختخ» بإحضار التليفون، واتَّصل بالمفتش ... ولكنه لم يجِده في مكتبه، فترك له خبرًا ليتَّصل بهم بمجرَّد عودته.

وجلس الأربعة يتناقشون ... ماذا تعني هذه الكلمات؟! ماذا تعني عين السَّمكة والكلب ... والهرم والطائرات؟!

قال «تختخ»: إنها كلماتٌ تعني أشياء كثيرة ... فعندما نضع كلمة جواسيس بجانب كلمة طائرات فهذا يعني الكثير ... وعندها نسمع كلمة الصور ونضعها بجانب كلمة الطائرات، فهذا يعني أكثر ... فهناك جاسوس وطائرات وصور ... وهذا من أخطر ما يكون.

قالت «نوسة»: إنني و«محب» لم نشترك معكما في أحداث الليلة التي أدَّت إلى العثور على هذا الطائر ... ومن المهم جدًّا أن نتأكَّد أن الرَّجلَين كانا يبحثان عن هذا الطائر بالذَّات.

محب: هذا صحيح.

قال «تختخ»: إن «عاطف» هو الذي شهِد الحكاية من بدايتها ... وهو الذي يستطيع أن يرويَ القصة كاملةً ... هيَّا يا «عاطف».

وروى «عاطف» مرةً أخرى كيف خرج إلى الشُّرفة ليلًا ... وماذا شاهَد في «الفيلا» التي شهِدت مَصرع الجاسوس ... ثم كيف أيقظ «تختخ» وبقيَّة الأحداث.

محب: من الواضح جدًّا أنهما كانا يبحثان عن الطائر، وأنه كان يطير هاربًا منهما!

تختخ: أقترح أن نترك «نوسة» مع الطائر فترةً أخرى ... وعليها أن تكتب كل الكلمات التي سيقولها، ثم نُحاول أن نستنتج شيئًا منها ... ثم ننتظر حتى يتَّصل بنا المفتش «سامي»، ونسأله عمَّا وصلت إليه تحرِّيات رجال الأمن ... ومن هذين المَصدرين يُمكِننا أن نتصرَّف.

تحمَّسَت «نوسة» للاقتراح، وقبل أن تقوم أقبل «زنجر» يدور حول الأصدقاء، فنظر إليه «تختخ» وقال: أقترح أن نخرُج في نُزهة إلى الهرم ... إن الهرم من الكلمات التي ردَّدها الطائر.

ووافَق «محب» و«عاطف»، وسرعان ما كانت الدرَّاجات الثلاث جاهزة. وقال «تختخ»: ما رأيكما أن نمرَّ بالشاويش ... لعل عنده معلومات عن سيَّارة الرَّجلين.

واتَّجه الأصدقاء إلى حيث يقف الشاويش الذي استقبلهم في ضِيق، وسأله «تختخ»: لقد طاردت السيَّارة أمس ... ألمْ تُلاحِظ رَقْمها؟

قال الشاويش: للأسف كانت بعيدةً جدًّا ... وفي الظلام لم أرَ سِوى نوعها فقط ... إنها من طِراز «فورد»، وقد تأكَّد لي هذا اليوم صباحًا ... فقد اتَّضح أن الرصاصة التي أطلَقَتها قد أصابت «طاسة» العَجلة فأطارتها ... وقد عثَرت على «الطاسة» اليوم، وقد أخطرت المفتش بما حدث.

ومدَّ الشُّرطي يده بـ «الطاسة»، ورأى الأصدقاء الثلاثة أثر الرصاصة التي أصابتها، وكان واضحًا أنها أصابتها بدون أن تخرمها، بل مرَّت بها فأسقطتها، ثم مضت الرصاصة في طريقها.

قال «تختخ»: لا بد أن الرصاصة موجودة أيضًا في هذا الشارع.

محب: وما قيمة العثور عليها؟

تختخ: إذا كانت قد مضت في خط مستقيم فربَّما تكون أصابت جانب السيَّارة وأزالت بعض الدهان، ويمكن معرفة لونها أيضًا.

وترك الثلاثة الشاويش، واتَّجهوا إلى حيث أشار على مكان السيارة، وبدءوا من هناك يبحثون على الأرض ويفتِّشون هنا وهناك ... كانت المهمَّة شاقَّة، ولكنهم مضَوا وقد انتشروا في عُرْض الشارع ... وكان مَنظرًا لفَت أنظار سُكان البيوت المُجاورة، فوقفوا يتفرَّجون عليهم، ولكن ذلك لم يمنعهم من الاستمرار في البحث ... وفجأةً صاح «عاطف»: وجدتها! ثم انحنى على الأرض ومدَّ يده، وبجِوار حجر صغير أخرَج الرصاصة ... وكم كانت فرحتهم عندما وجدوا ما قاله «تختخ» صحيحًا ... فقد وجدوا على جانب الرصاصة لونًا أزرق غامقًا ... فقال «محب»: نظريَّتك صحيحة يا «تختخ»، لقد أصابت الرصاصة جسم السيارة واحتكَّت بشِدَّة بها، وأخذت معها بعض اللون.

قال «تختخ» وهو يتأمَّل الرصاصة: لقد أصبح عندنا معلومات لا بأس بها عن السيَّارة التي كان بها الرَّجلان أمس ... فهي ماركة «فورد»، ولونها أزرق غامق ... وطاستها منزوعة، وفي مكان منها خدش. هيَّا نُخبر «نوسة»؛ فقد يتَّصل بها سيادة المفتش.

قالت «نوسة»: هل أنهم مُصرُّون على الذهاب إلى الهرم؟

تختخ: أعتقد ذلك.

نوسة: سأبقى أنا هنا ... إني لا أريد أن أترك الطائر وحده ... وفي الوقت نفسه سأُداوم الاتصال بالمفتش «سامي»؛ فعندنا الآن معلوماتٌ كثيرة تهمُّه.

محب: معقول جدًّا ...

عاطف: أظنُّكم لا تتصوَّرون أن نذهب بالدرَّاجات إلى الهرم ... وأن معنى ذلك قضاء اليوم كله نُحرِّك أرجُلنا حتى نسقط إعياءً.

تختخ: طبعًا لن نذهب بالدرَّاجات ... سنذهب بالمواصلات العادية.

وهكذا أعادوا الدرَّاجات إلى منزل «محب»، ثم اتجهوا إلى محطة باب اللوق، وساروا إلى ميدان التحرير، ثم ركِبوا الأتوبيس إلى الهرم.

قال «عاطف»: لا أظنُّكم تتصوَّرون أن كلمةً قالها هذا الطائر سوف تحلُّ اللُّغز ...

تختخ: لعلنا نعثُر في منطقة الهرم على شيءٍ ما ... من يدري!

محب: على كل حال هي رحلة للنُّزهة أساسًا ... فإذا عثرنا على شيءٍ مِثل السيارة مثلًا ...

تختخ: ذلك يكون توفيقًا عظيمًا!

كان الأتوبيس يقطع بهم شارع الهرم مُسرعًا ... وفجأةً قال «عاطف»: هناك سيَّارةٌ زرقاء تجري أمام الأتوبيس.

كان «عاطف» يجلس بجوار النافذة، وأخذ يُتابع السيارة التي كانت تتَّجه إلى منطقة الأهرام مُسرعةً، وقال «محب»: لا تتوقع بالطبع أن تكون كل سيارة زرقاء هي السيارة التي تبحث عنها، إن في القاهرة أُلوفًا من السيارات الزرقاء ... أليس كذلك يا «تختخ»؟

كان «تختخ» مُستغرقًا في تفكيرٍ عميق؛ فلم يلتفت إلى الحِوار الدائر بين الصديقَين حتى وصَلت سيارة الأتوبيس إلى نهاية طريق الهرم وتوقَّفت، ونزل الأصدقاء ... وكانت السيارة الزرقاء قد اختفت عن عينَي «عاطف».

عين السَّمكة

صعِد الأصدقاء المُرتفَع الذي يؤدِّي إلى الهرم، وكان «تختخ» ما زال مُستغرِقًا في خواطره عندما وصَلوا إلى قاعدة الهرم ... وجلسوا في ظل صخرة يتحدَّثون ... قال «تختخ»: إنني مشغول بالكلمات التي قالها الطائر ... من المؤكَّد أن هذه الكلمات تعني شيئًا يمكن أن يؤدِّيَ إلى الإيقاع بشبكة الجواسيس ... يجب أن نُعِيد ترتيب الكلمات لنكوِّن منها جملةً لها معنًى!

عاطف: وقد لا تعني شيئًا على الإطلاق.

تختخ: هل أنت مُقتنع أن الرَّجلَين جاءا إلى المنزل لأخذ الطائر؟

عاطف: نعم.

تختخ: إذن فهذا الطائر له أهميةٌ خاصة ... ولست أعتقد أن أهميته المادية هي التي دفعت الجاسوسَين للمخاطرة بنفسَيهما ... إنه قد يُساوي مائة جنيه أو أكثر. فهل هذا مَبلغٌ يدفع جاسوسَين لدخول «فيلا» يحرسها شُرطي؟ إن الجواسيس هم أكثر الناس حذرًا ... ولا يمكن أن يُغامر جاسوسان بدخول «الفيلا» وهما يَعلَمان أن عليها حِراسة — وربما مراقبة — من أجل طائر ... إلا إذا كان هذا الطائر مهمًّا جدًّا.

محب: معقول ...

تختخ: في هذه الحالة فإن قيمة الطائر في أنه يردِّد كلامًا سمِعه ... هذا الكلام له أهميةٌ خطيرة ...

محب: ولكننا ناقَشنا هذه الفكرة من قبل.

تختخ: صحيح ... ولكن دلالة الكلمات، ماذا تعني عين السَّمكة بالنسبة للجواسيس؟ إنها الكلمات التي لا يكفُّ الببغاء عن ترديدها ... عين السَّمكة ... كلب ... ماذا يعني

هذا؟ ماذا تعني عين السَّمكة؟ إلى أي شيء تُشير هاتان الكلمتان؟ لقد فهِمنا معنى الصور والطائرات والهرم، ولكن هاتين الكلمتين …

عاطف: إنها بالطبع رمز لشيءٍ ما … لحادثٍ ما … لشخصٍ ما … إنها لا تعني مجرَّد عين السَّمكة.

تختخ: ما هو الشيء الذي يمكن أن نُطلِق عليه اسم عين السَّمكة؟

أخذ الثلاثة يفكِّرون فترةً ثم قال «محب»: أفضلُ شيءٍ أن نذهب الآن إلى سوق السَّمك ونُشاهده … علينا أن نفحص جيدًا عين السَّمكة؛ فقد تُوحي إلينا بشيء.

وهكذا غادَر الثلاثة الهرم، وقال «محب»: أقرب سوق للسَّمك في «التوفيقية». هيَّا نذهب إلى هناك!

وركِبوا الأتوبيس مرةً أخرى إلى وسط القاهرة حيث يوجد باعة السمك في سوق التوفيقية، ووقفوا أمام الطاولات التي تكوَّم فوقها السمك … وأخذوا يحدِّقون في العيون الساكنة … عيون البُلطي والقاروص والبوري … وقال «محب»: طبعًا إن ما تُوحي إليَّ به عين السَّمكة هو الموت … إن عين السَّمكة ساكنة … باردة … مفتوحة كأنها عين ميت.

تختخ: هذا ما فكَّرت فيه أيضًا.

عاطف: ولكن ما هي أبرز علامات أو مُميزات عين السَّمكة؟

تختخ: إنها بلا أجفان … إنها عيون لا تُغلق أبدًا!

محب: هل يعني هذا مثلًا أن هذا الاسم لخليَّة جواسيس؟! خليَّة عين السَّمكة؛ أي الخلية التي لا تنام … التي لا تُغلَق عيونها مُطلَقًا؟!

تختخ: هذا مُمكِن جدًّا.

عاطف: هذا أقرب تفسير لمعنى عين السَّمكة.

كانوا قد خرجوا من محل بيع السمك وهم يتبادلون الأحاديث … ثم اتَّفقوا على أن يتناولوا شيئًا في محل «الأمريكين» في شارع «طلعت حرب» … ومضَوا واختاروا مائدةً قُرْب الشارع ثم جلسوا، وطلبوا ثلاثة أكواب من عصير الليمون … وفجأةً سمِع «محب» اسمه يتردد، ورأى إنسانًا يقترب منه، فقام واقفًا، وسلَّم على صديق له، وقدَّمه إلى «تختخ» و«عاطف» قائلًا: صديقي وزميلي «حسين»، وهو — بجانب أنه طالبٌ مُمتاز في المدرسة — من هُواة التصوير.

وأخذ الاثنان يتبادلان الأحاديث، فسأل «حسين»: ما الذي أتى بك إلى وسط المدينة؟! إنك دائمًا تُفضل البُعد عن الضجيج.

محب: ستضحك إذا عرفت لماذا حضرنا نحن الثلاثة … لقد جئنا للتفرُّج على السمك …

حسين: السمك … لماذا؟ ألَمْ ترَوه من قبل؟

محب: جئنا نتفرَّج على شيءٍ واحد في السَّمكة … عينها … عين السَّمكة.

حسين: لماذا … لعلكم ستشترون آلةَ تصويرٍ حديثة؟

محب: وما دخلُ عين السَّمكة في آلات التصوير؟

حسين: ألا تعرف أن أحدث عدسة في آلات التصوير اسمها عدسة عين السَّمكة؟

تبادل الأصدقاء الثلاثة نظرات الدهشة، وقال «محب»: عين السَّمكة؟

حسين: إنها عدسةٌ تُشبِه عين السَّمكة فعلًا … لأنها مُستديرة ومحدَّبة، وتلتقط صورةً مُستديرة تُشبِه عين السَّمكة فعلًا … وبدلًا من أن تكون الصورة مسطَّحة كما هي عادةً، تلتقط صورةً مُستديرةً تشمل مساحةً أكبر من الصورة العادية.

محب: لقد شاهدت بعض هذه الصور في بعض المجلَّات الأجنبية التي يحضرها أبي … وفي بعض المجلَّات المصرية حديثًا!

حسين: هل تشترون حقًّا آلة تصوير من هذا النوع؟ إني أتمنَّى أن أحصل على واحدة منها لأجربِّها!

قال «محب» مُبتسمًا: أبدًا … لقد كانت مجرَّد مناقشة حول السمك أدَّت بنا إلى الحضور للتفرُّج على عين السَّمكة.

بعد دقائق اعتذر «حسين»، ومضى وترك الأصدقاء الثلاثة يتبادلون النظرات … هل لهذا الكلام علاقة بالكاميرا الصغيرة التي سقطت من الجاسوس ليلة أمس، والتي أخذها المفتش «سامي»؟ إن ذلك يفتح آفاقًا جديدة للبحث …

قال «تختخ»: تعالَوا نعود لنرى ما فعلت «نوسة» مع الطائر، ونتصل بالمفتش «سامي» ونُبلِغه ما وصَلنا إليه.

ماذا فعلت «نوسة»

ومرةً أخرى أخذوا طريقهم إلى المعادي ... وبعد نحو ساعة كانوا مع «نوسة» ... وقدَّم لها «تختخ» مفاجأةً ظريفة ... فقد اشترى لها كوبًا من الجيلاتي من «الأمريكين». وسعِدت «نوسة» كثيرًا، وشكرت «تختخ» ... وعندما سألوها عن الطائر قالت في صوتٍ حزين: للأسف فقد أرسل المفتش «سامي» أحد رجاله فأخذه.

قال «عاطف» مُتضايقًا: أخذه؟!

نوسة: نعم ... ولكني حصلت منه على بعض كلمات أخرى.

وأخرجت «نوسة» من جيبها ورقةً أخذت تقرأ ما بها: الساعة ... منتصف الليل ... ثلاث مرَّات ... الضوء.

تختخ: وهل أخبرت الرجل الذي أرسله المفتش أننا عرَفنا حقيقة هذا الطائر؟

نوسة: لا، لم أقُل له شيئًا.

تختخ: يجب إذن الاتصال به، وإخباره بما وصَلنا إليه من معلومات عن طريق طائر «الماي ناه» ... إنها معلومات على جانبٍ كبير من الأهمية بالنسبة لرجل الأمن.

وأحضر «تختخ» التليفون، وتحدَّث مع المفتش قائلًا: لقد وصَلنا إلى معلومات على جانبٍ كبير من الأهمية عن طريق الطائر.

واستمع «تختخ» لحظاتٍ ثم قال: نعم الطائر الهندي الذي كان في منزل الجاسوس. إنه طائرٌ يتحدث ... ألمْ تعرف ذلك بعد؟

وكان الأصدقاء الثلاثة ينظرون إلى «تختخ» وهو يتحدث، وسمِعوه يقول: نعم الطائر الذي حضر أحد رجالك وأخذه من «نوسة»، منذ ساعة تقريبًا.

واستمع «تختخ» قليلًا، ولاحَظ الأصدقاء أن لون وجهه قد تغيَّر وصاح: غير معقول ...

ثم استمع قليلًا وقال: نحن في انتظارك. ثم وضع السماعة، والتفت إلى الأصدقاء وقال: هل تعرفون ماذا حدث؟! إن الرجل الذي حضر وأخذ الطائر ليس من رجال الشرطة على الإطلاق!

ارتاعت «نوسة» وقالت بصوتٍ يرتعش: ليس من رجال المباحث؟! إذن من هو؟

قال «محب» وهو ينظر إليها في ضِيق: من الجواسيس طبعًا!

نوسة: ولكن! ولكن!

محب: لا لكن ولا غيره ... لقد خُدعت ببساطة، ووضعتِ بين يدَي الجواسيس الشيء الذي كانوا يبحثون عنه، وعلى استعداد للموت في سبيله ...

وخيَّم الصمت للحظات ثم قال «تختخ»: لا داعيَ لأن نُزعج أنفُسنا كثيرًا ... ولا داعيَ لتوجيه اللوم إلى «نوسة» بهذه الصورة، لقد حصلنا من الطائر على المعلومات التي يعرفها.

وقال «عاطف»: ولعلهم لن يعرفوا كيف يحصلون على المعلومات.

قالت «نوسة» وهي تحني رأسها: إني آسفة جدًّا! فعلًا أنا خُدعت، ولعلِّي أكون أكثر حذرًا في المرَّات القادمة.

تختخ: هل كان الطائر يتحدث طول الوقت؟

نوسة: لا ... إنه يتحدث أحيانًا بكلام عن الطعام، ويصفِّر أحيانًا ... ولكن المعلومات التي حصلت عليها منه كان يقولها كلما دقَّ جرس التليفون، وسمع كلمة «ألو».

محب: إذا لم يكتشف الجواسيس ارتباط رنين التليفون وكلمة «ألو» بالمعلومات التي يردِّدها الطائر، فقد لا يحصلون على شيء.

كان «تختخ» مُستغرقًا في التفكير، وفجأةً قال: هناك سؤالٌ هام ... كيف عرف الجواسيس مكان الطائر؟

فكَّرت «نوسة» قليلًا ثم قالت: أعتقد أنهم يُراقبوننا. وقد لاحظت أن عددًا من الجيران كانوا يتفرجون عليَّ وأنا أجلس معه في الحديقة ... ولعلَّ واحدًا من الجواسيس أو أكثر يسكن قريبًا منا.

تختخ: هذا ما خطر ببالي، إننا مُراقَبون. فكيف نستفيد من هذه الرقابة للكشف عن مكان الجواسيس؟

استغرق الأربعة في التفكير، وبعد فترة سمِعوا سيارةً تقف، وبابًا ينصفق، ثم ظهر المفتش «سامي» بوجهه الحادِّ المَلامح، ووقفوا جميعًا احترامًا له، فسحب كرسيًّا وجلس، وطلب منهم أن يُخبروه بما حدث بالتفصيل وبالمعلومات التي حصَلوا عليها من طائر

«الماي ناه» … وتولَّى «تختخ» شرح كل ما يتعلق بالموضوع، ثم شرحت «نوسة» الطريقة التي حصَلت بها على المعلومات من الطائر …

وأخرج المفتش ورقة وقلمًا، وكتب الكلمات التي نطق بها الطائر، ثم قال «تختخ»: إننا كما ترى مُراقَبون يا سيادة المفتش … ألا يمكن الاستفادة من هذه الرقابة للإيقاع بالجواسيس؟

المفتش: إن الجواسيس عادةً من أدهى وأذكى الناس … ومن الصعب عليكم خِداعهم … ولكني سأفكِّر في خُطَّة مُناسبة، وسأبثُّ رجالي في المَنازل المُجاورة لعلَّهم يصِلون إلى تحديد مكان الجواسيس.

تختخ: يهمُّنا يا سيادة المفتش أن تقول لنا تصوُّرك لهذه الأحداث كلها؛ فقد أصبحنا جزءًا منها …

المفتش: لقد وصَلنا في الإدارة عندنا إلى تصوُّر للموضوع كله … فهذا الجاسوس — الذي قضى عليه زملاؤه — كان يقوم بجمع المعلومات والصور بنفسه، وربما أيضًا بواسطة عُملاء له … وربما كان طمَّاعًا يريد نقودًا كثيرة، وربما يطلب شيئًا آخر من رئيس الشبكة … وربما — وهو الأرجح — أن شبكة الجواسيس أحسَّت أننا نُراقِب هذا الجاسوس فقضَوا عليه قبل أن نصِل إليهم عن طريقه … ولعله كان يُخفي عنهم بعض المعلومات، وظنُّوا أن الطائر يعرفها فحاولوا الحصول عليه.

محب: وما هو تفسيرك للكلمات التي نطق بها الطائر؟

المفتش: هذه الكلمات ستخضع لتحليلٍ دقيق في الإدارة، وسوف أُخطِركم بما نصِل إليه من معلومات.

نوسة: والمفاتيح و«الكاميرا» الصغيرة التي وقَعت من الجواسيس … هل وصَلتم إلى شيء بخصوصها؟

المفتش: بالنسبة لما وجدناه على الفيلم الذي في «الكاميرا» فإني لا أستطيع بحُكم عملي أن أُخبركم بأي شيء منه … ولكن يهمُّني أن تعرفوا أن أسرارًا في غاية الأهمية قد استطاع هؤلاء الجواسيس الحصول عليها … ولحُسن الحظ أنْ وقَع هذا الفيلم في أيدينا … ويهمُّني أيضًا أن تَعلَموا أن أي عمل تقومون به الآن فيه خدمة للوطن، فخذوا حِذركم؛ فإن أعداءكم في غاية الدهاء والبطش.

وقام المفتش مُستأذنًا، وترك الأصدقاء الأربعة وقد أحسُّوا أن واجبًا وطنيًّا يُناديهم، وأن عملًا شاقًّا وخطيرًا ينتظرهم …

جلس «تختخ» في الحديقة وحيدًا يفكِّر في «نوسة» ... هذه الفتاة الذكيَّة التي أدَّت عملًا باهرًا باكتشافها حقيقة طائر «الماي ناه»، ثم ارتكبت خطأً فظيعًا عندما سلَّمت الطائر وما يعرفه من معلومات إلى الجواسيس ... كان يشعر بالخوف عليها؛ فقد يلجأ الجواسيس إلى خطفها إذا لم يحصلوا على المعلومات اللازمة من الطائر، ولكن تفكيره لم يَطُل؛ فقد دخل عليه «عاطف» وقال: ما لك يا «تختخ»؟

تختخ: لا شيء ... فقط أفكِّر في خُطَّة للإيقاع بالجواسيس.

عاطف: لا أظنُّ أننا سنراهم بعد الآن ... لقد فعلوا ما يريدون، قضَوا على الخيط الذي كان يمكن أن يؤدِّيَ إليهم، وقتلوا الجاسوس الذي كانت المباحث تُتابعه ... ثم حصلوا على ما يريدون عندما استولَوا ببساطة على طائر «الماي ناه» من صديقتنا الذكيَّة «نوسة»!

أسرع «تختخ» يقول: ليس الذنب ذنبها ... المهمُّ أنها الآن في خطر.

عاطف: أي خطر؟

تختخ: خطر خطفها.

عاطف: لنُراقبها جيدًا ... ولكن قُل لي، ما هي خطتك؟

تختخ: إن عندنا معلوماتٍ تمكِّننا من متابعة الجواسيس من ناحية ... وعندنا إمكانيةٌ أن نجذب انتباه الجواسيس إلينا ثم نُوقِع بهم.

عاطف: إنك مُتفائل جدًّا ... ما هي المعلومات التي تمكِّننا من كل هذا؟

تختخ: عندنا كلمات الطائر ... لقد قال لنا عن مكان هو الهرم. وعن زمان هو منتصف الليل، وعن إشارة هي ثلاث إشارات ضوئية ... أليس هذا كافيًا لمتابعة رجال العصابة؟

سكت «عاطف» وهو يفكِّر في هذا الترتيب المعقول لكلمات الطائر، ثم قال: تقصد أن نذهب نحن إلى الهرم في منتصف الليل، ونرى هذه الإشارات؟

تختخ: نعم ... أقصد هذا.

عاطف: معقول جدًّا ... ولكن يبقى شيءٌ مهم ... لعل هذه المعلومات كانت تُفيد قبل القضاء على الجواسيس.

تختخ: بالعكس، إنها تُفيد الآن أيضًا ... بدليل اهتمام بقيَّة الجواسيس بالحصول على طائر «الماي ناه» ...

عاطف: ثم ما هو اليوم الذي ستأتي فيه هذه الإشارات؟

تختخ: نستطيع أن نُراقب طَوال ليالي الأسبوع ... إن المطلوب منَّا أن نتواجد لمدة نصف ساعة أو ساعة على الأكثر في الهرم ... والجوُّ مُناسب.

عاطف: إنك تفكِّر كأعظم ضابط مخابرات في العالم ... تُرى ما هو سبب هذا الإلهام الذي هبط عليك فجأةً الآن؟

ابتسم «تختخ» قائلًا: ليس مهمًّا أن تعرف مصدر الإلهام ... المهم، أليس ما أقوله معقولًا؟

عاطف: في الحقيقة معقول جدًّا.

تختخ: هل نبدأ من الليلة؟

عاطف: طبعًا ... ما دُمنا نخدم الوطن فإنا على استعداد للذهاب إلى آخر الدنيا.

حدث ... ولكن

الْتَقى الأصدقاء الأربعة، «تختخ» و«عاطف» و«نوسة» و«محب» في المساء ... وعرض «تختخ» ما وصَل إليه من استنتاجات، والخُطة التي رسمها لمراقبة منطقة الهرم، فتحمَّسوا، ولكن «نوسة» قالت بعد قليلٍ: ولكن المنطقة ليس بها هرمٌ واحد، بل ثلاثة أهرامات ... فهل ستُراقبون هرمًا واحدًا أو ثلاثة أهرامات؟

ابتسم «تختخ» لها ابتسامةً مشجِّعة وقال: معك كل الحق ... ولكن ما دامت هناك ثلاثة أهرامات ونحن ثلاثة ... فسيُراقب كلٌّ منا هرمًا، وستَبقين أنتِ هنا يا «نوسة» ... فلست أُحبُّ لكِ أن تتعرَّضي للمخاطر في الليل ...

وافقت «نوسة» آسفةً، ومضى «تختخ» يقول: الْزَمي حُجرتك ولا تُغادريها لأي سبب.

قُرْب منتصف الليل كان الأصدقاء الثلاثة يستقلُّون «تاكسي» إلى منطقة الأهرام وقد استعدُّوا لمغامرة الليل المجهولة، ووزَّعوا أنفُسهم على الأهرامات الثلاثة ... «عاطف» عند الهرم الأصغر ... هرم «منقرع»، و«محب» عند الهرم الثاني ... هرم «خفرع»، وتوقَّف «تختخ» عند الهرم الأكبر ... هرم «خوفو»، ثم اختار صخرةً عاليةً جلس عندها.

كان الاتفاق أن ينتظروا حتى منتصف الليل تمامًا ثم بعده بربع ساعة، فإذا لم يحدُث شيءٌ يبدأ «تختخ» السير إلى حيث يوجد «محب» و«عاطف» ... وكانوا كما يحدُث في الحرب، قد ضبطوا ساعاتهم الثلاثة بعضها على بعض حتى تنضبط المواعيد معًا.

على بُعد نحو ١٠٠ متر جلس «عاطف» وحيدًا ينظر إلى الهرم الذي بُنِي منذ آلاف السنين وهو يفكِّر ... من أين تأتي الإشارات الضوئية؟ من الهرم ذاته؟ أم بعيدًا عن الهرم؟ وماذا يفعل في هذه اللحظة؟ إنهم لم يتَّفقوا على خطةٍ معيَّنة، وتركوا لكل واحد حريةَ التصرف، على أن تكون وسيلة الاتصال هي مسدَّس الصوت الذي يحمله كلٌّ منهم

... وكانوا قد اشترَوها منذ فترة ولم يستعملوها. كان «عاطف» يضع المسدس في جيبه، ويُحسُّ كأنه مسدَّس حقيقي، وليس مجرَّد أداة لإصدارِ صوتٍ مرتفع يُشبه صوت طلقات الرصاص، ولكن لا يُطلِق شيئًا ... وفي جيبه الأعلى البطارية لإطلاق الإشارات إذا كان ذلك مُمكِنًا.

ولم تبدُ حول الهرم الأصغر أية حياة ... كانت المنطقة صامتةً مُظلِمة، لا يُضيئها إلا النجوم البعيدة، وبعض أضواء السيَّارات التي تلمع وتختفي عند مُنحنَيات الطريق إلى «صحاري سيتي».

عند الهرم الثاني جلس «محب» والأفكارُ نفسها تدور بخاطره ...

عند الهرم الثالث جلس «تختخ» ... ولم يكُن المكان حول هذا الهرم مُوحِشًا؛ فقد كانت هناك سياراتٌ تحمل السهرانين في هذه المنطقة التي لا تنام. وكانت بعض هذه السيارات تقف قريبًا من «تختخ»، وكان يُراقبها جيدًا؛ فقد تكون إحداها السيارة الزرقاء التي يبحثون عنها. وكان كل ما يُمكِنه من معرفتها على هذا البُعد ... أنها تنقص طاسة. وفجأةً خُيِّل إليه أنه يرى ضوءًا يلمع عند قاعدة الهرم، فوقف، ولكن الضوء كان لسيارةٍ تدور حول الهرم ثم تمضي.

عند الهرم الأول وقَعت المغامرة، ولكن ليس كما توقَّع المغامرون الثلاثة ... كان «عاطف» ينظر إلى ساعته وعقربُ الدقائق يقترب ويقترب من الساعة الثانية عشرة ... ثم تَعانَق العقربان في منتصف الليل بالضبط، وكان نظره يجوس في الظلام في انتظار الإشارة الضوئية ... ولكن الثواني ... ثم الدقائق تمضي بدون أن يتحقق شيء، لا إشارات ولا أضواء ... وتمرُّ دقائق أخرى بدون أن يحدُث ما توقَّعوا ... وبقيت دقائق ليتحرَّك كلٌّ منهم من مكانه.

وأحسَّ «عاطف» فجأةً بأقدامٍ سريعةٍ حوله ... لم يكُن في إمكانه أن يسمعها قبل أن تقترب بسبب الرِّمال ... وقبل أن يُفِيق من دهشته كان رجلان قد انقضَّا عليه، وشلَّا حركته، وأغلقا فمه ... ثم ظهر رجلٌ ثالث من خلف صخرة قريبة، واقترب بهدوء منهم.

كان الصمت مخيِّمًا على المكان، والرجال الثلاثة في ملابسهم السوداء كالأشباح ... وكان لوَقعِ المفاجأة أثرُها على «عاطف» ... فلم يُبدِ أية مقاومة ... وقال أحد الرجلَين: لا تُحاول الصِّياح؛ فلن يسمعك أحد، وسنضطرُّ إلى القضاء عليك ... إن المطلوب منك أن تُجيب عن بضعة أسئلة بصراحة ...

وكان الرجل الثالث قد وقف أمامهم، وتحدَّث مع أحد الرجلين بالإنجليزية، وفهِم «عاطف» ما يقول ... كان يطلب من الرجل أن يرفع يده من على فمه ويدعه يتحدث. وارتفعت القبضة القوية من على فمه وقال الرجل: ماذا تفعل هنا؟

كان قلبه يدقُّ سريعًا، وأنفاسه مُتلاحقة من أثر المفاجأة فلم يرُد، وأحسَّ بأحد الرجلين يلوي ذراعه بعنف ويقول له: انطِق!

ردَّ «عاطف» والآلام تعتصر ذراعه: لا شيء ... إنني أتنزَّه!

ازداد ضغط الرجل على ذراعه، وأحسَّ «عاطف» بالنيران تَفتِك بعظامه، وسمِع الرجل يسأله: أجِب، ماذا تفعل هنا؟

ردَّ «عاطف» بصوتٍ لاهث: قلت لك أتنزَّه!

الرجل: لا تكذب ... لقد حصلتم على معلومات من الطائر عن هذا المكان ... فما هي هذه المعلومات؟!

عاطف: لا أعرف.

وزاد الضغط، وأحسَّ «عاطف» كأنه وقَع في آلةٍ وحشيةٍ تقتله، وانسال العَرق غزيرًا يغطِّي جسمه ... وقال الرجل: كيف استطاعت الفتاة أن تجعل الطائر يتكلم؟! قُل لنا ونحن نُطلِق سراحك فورًا.

كان «عاطف» قد بدأ يذهب في غيبوبة من فرط الألم ... وكان يُقاوم على أمل أن يحضُر «تختخ» و«محب»؛ فلا بد أن المُهلة قد انتهت، وهما في الطريق إليه ... وبين اليقظة والإغماء سمِع أحبَّ الأصوات إلى قلبه ... صوت البومة التي يُطلِقونه في الظلام ... وسمِع رجلًا يقول له: انطق وإلا قتلناك ... ما الذي جعل الطائر يتحدث؟

لم يردَّ «عاطف»، ثم سمع صوت سيارة تقترب، وبدأت أضواؤها تغمر الرجال الثلاثة، واستطاع «عاطف» أن يرى بسرعةٍ خاطفة — وبين الإغماء واليقظة — وجه الرجل الثالث الذي يقف أمامه ... كان وجهًا قاسيًا جامدًا كالصنم ... كأنه منحوت من الصخر أو الخشب الصَّلد ... تُخفي النظَّارات السوداء عينَيه ... وخُيِّل إليه أنه يرى خلف النظَّارات نظرة ثُعبان ... نظرةً ذكَّرَته بشيء ... ثم سمِع صوت طلقة مسدَّس، وشعر بضربةٍ وحشيةٍ تنزل على رأسه، ثم سقط على الأرض مُغمًى عليه!

كانت السيارة قد اقتربت، وحضر «تختخ» و«محب» المشهد الأخير من عملية التعذيب التي تعرَّض لها «عاطف»، فأطلق «تختخ» من مسدَّس الصوت طلقةً ظنَّها الرجال الثلاثة طلقة مسدَّس، فأسرعوا يَجْرون في الظلام ... وأسرع «تختخ» إلى «عاطف» ... أما «محب»

فقد استخدم عضلات ساقَيه القويتَين في الانطلاق خلف الرجال الثلاثة ... لقد نسِي واجب الحذر في هذا الموقف، وطار كالفهد خلفهم، واستطاع أن يلحق بواحد مهم، وقفز في الهواء ثم ألقى بنفسه عليه.

سقطا معًا على الأرض ... ثم وقفا وانطلقت من ذراع «محب» لكمةٌ قويةٌ نزَلت على وجه الرجل كالصاعقة ... وسقط الرجل على الأرض، وانحنى «محب» عليه ورفعه ليضربه مرةً أخرى ... ولكن في تلك اللحظة هوَت على رأسه ضربةٌ قوية، ودار حول نفسه وسقط على الأرض!

كان «تختخ» قد استطاع إفاقة «عاطف»، وسمِعا غير بعيد عنهما صوتَ الصِّراع الدائر، فاتَّجها مُسرِعَين إلى مكانه ... ولكن الرجال الثلاثة كانوا قد اختفَوا في الظلام ... وعلى ضوء بطاريتهما شاهَدا جسم «محب» على الأرض فانحنيا عليه، واقترب «تختخ» منه يستمع إلى دقَّات قلبه، وتنفَّس الصُّعَداء عندما وجده ما يزال يدقُّ ... وقال «تختخ»: هناك صوت سيارة تدور ... إنها سيارة الجواسيس، فلنُحاول أن نلحق بها ...

محب: كيف؟

تختخ: السيارة التي أضاءت لنا الطريق ... يبدو أن أصحابها قد رأوا ما حدَث؛ فهي تقف مكانها مُضاءةَ الأنوار ... هيَّا بنا إليها!

حمَل «تختخ» و«عاطف» «محب» بينهما إلى السيارة سريعًا، ووجدوا صاحبها شابًّا صغيرًا، فشرح له «تختخ» بسرعةٍ ما حدَث، وأشار إلى اتجاه السيارة الهاربة ... وانطلقت السيارة الثانية كالسهم خلف السيارة التي كانت قد سبقتها بمسافة ... ولكنهما كانا يُشاهدان أضواءها الخلفية الحَمراء، وهي تتلوَّى بين الصخور وكُثْبان الرمال ... وزاد السائق الشابُّ من سرعته، وأخذ جسم السيارة يضجُّ بالأصوات وهي تُتكتِك على الأرض مُنطلقةً خلف السيارة الكبيرة.

كانت السيارة الكبيرة أسرع ... ولكن الشابَّ كان مُتحمسًا للمطاردة، وبدأت المسافة تقترب بين السيارتَين سريعًا.

وكانت ذراع «عاطف» ما زالت تؤلِمه، ولكنه كان يركِّز انتباهه على السيارة التي أمامه ... وفجأةً صدَر صوت انفجار من إحدى عجلات السيارة الصغيرة، وأفلتت عجلة القيادة من يد الشاب، وانحرفت السيارة بهم وكادت تنقلب، والشابُّ يُحاول بكل ما أُوتيَ من مهارةٍ أن يُوقِفها ... ودارت السيارة حول نفسها ثم ترنَّحت ووقف أمام صخرة كبيرة كادت أن تصطدم بها ... ونزل الثلاثة ومعهم الشاب، ووجدوا أنهم كانوا على بُعدِ سنتيمتراتٍ قليلة من هاويةٍ سحيقة!

قال الشاب: ما هي الحكاية بالضبط؟! إنني لم أفهم إلا أنكم تريدون مطاردة هذه السيارة، فلماذا؟

تختخ: إنها حكايةٌ طويلة ... أَهَمُّها أن هؤلاء الرجال مطلوبٌ القبض عليهم بتهمة القتل.

الشاب: خسارةٌ أننا لم نلحق بهم!

تختخ: شكرًا لك على كل حال، وأقدِّم لك نفسي، أنا «توفيق»، وهذا «محب» و«عاطف»، ونحن من المعادي.

قال الشابُّ الذي بدَت لهجته غير مِصرية: أنا «فريد» من لبنان.

قال تختخ: سنُساعدك في إبدال العجلة التالفة.

خُطة «نوسة»

وعلى ضوء الكشَّافات الصغيرة والأضواء البعيدة أبدَلوا بالعَجلة التالفة العَجلةَ الإضافية. وقال «تختخ»: لقد أطلَقوا علينا الرصاص من مسدَّسٍ صامت!

محب: لقد اتَّضح أننا في مُنتهى السذاجة …

كيف نسِينا أننا مُراقَبون؟ لقد كانوا خلفنا طول الوقت. وهكذا ضربنا مرةً أخرى بلا فائدة.

تختخ: ليس بلا فائدة تمامًا … فقد عرفنا الآن أنهم لم يستطيعوا حتى الآن دفع الطائر إلى الكلام. ولعله قال لهم الكلمات العادية التي يردِّدها ولم يقُل لهم الكلمات الهامَّة التي يقولها عند سماع جرس التليفون.

محب: ولكن، لماذا اختاروا «عاطف» للهجوم؟

تختخ: ببساطة … لأنه كان في منطقةٍ بعيدة عن المارَّة وعن الأضواء …

وابتسم «عاطف» وهو يقول: ربما لأنهم أيضًا وجدوني صغيرًا، أو استضعفوني!

كانت السيارة تمضي بهم وقد فقدوا الأمل في متابعة السيارة الكبيرة … وكان «محب» يُحسُّ بألمٍ عميق في رأسه، فلما وضع يده عليها وجد أنها تورَّمَت حيث ضُرِب … وكان يشعر بصداعٍ عنيف، ولكنه أخفى ذلك عن «تختخ» و«عاطف» الذي لم يكَن أحسن حالًا منه … لهذا كان الاثنان يحلُمان بالنوم. أما «تختخ» فكان أفضلهم حالًا … وكان قد قرَّر الاتصال بالمفتش «سامي» بمجرَّد وصوله. ووصلت السيارة بهم إلى ميدان التحرير، فشكروا الشابَّ كثيرًا، ثم ركِبوا «تاكسي» إلى المعادي … وعندما وصَلوا وجدوا «نوسة» في انتظارهم … كانت تقف في شُرفة غُرفتها في الظلام، وعندما سمعت صوت العربة ورأتهم ينزلون أضاءت النور، فعرفوا أنها تريد الحديث إليهم.

أشار إليها «محب» بالنزول، فنزلت ووصلت إليهم، ولاحَظوا أنها بملابس الخروج، فقال «محب»: هل كُنتِ خارجة؟

نوسة: نعم …

محب: غير معقول … أين كنتِ ذاهبةً في هذا الليل؟

نوسة: لقد استدعَيتموني!

نظر الأصدقاء الثلاثة أحدهم إلى الآخر، وقال «تختخ»: من منَّا الذي استدعاك؟

نوسة: ليس واحدًا منكم، لقد اتَّصل بي شخصٌ منذ نحو ساعة ونصف، وقال لي إنه في الهرم معكم، وإنكم تطلبون حضوري فورًا!

تختخ: شيءٌ غريب، ثم ماذا؟

نوسة: للوهلة الأولى صدَّقته؛ فقد كنت أعلم طبعًا أنكم ذاهبون إلى الهرم، فارتدَيت ثيابي، واتَّجهت إلى باب «الفيلا» لأخرج … ثم تذكَّرت حكاية الضابط المزيَّف الذي حضر وأخذ الطائر، وتذكَّرت تحذير «تختخ» بالبقاء في البيت … وهكذا تردَّدت ولم أخرج. وأسرعت أتَّصل بالمفتش «سامي»، ولكن تليفونه يرنُّ ولا أحد يُجيب … فأطفأت نور الغُرفة والشُّرفة … وجلست في انتظاركم …

تنفَّس الأصدقاء الصُّعَداء، وقال «تختخ»: لقد تصرَّفتِ بتعقُّلٍ وذكاء … وإلا لوقَعتِ الآن في أيدي الجواسيس، وواضحٌ أنهم يُريدونك بأي ثمن؛ فهم لم يتمكَّنوا بعدُ من التفاهم مع طائر «الماي ناه»، وهم يريدون الحصول على ما يعرفه من أسرار … وأنت تعرفينها.

وشمِل الجميعَ فترةٌ من الصمت، ثم قال «عاطف»: إنهم جواسيس في غاية الخطورة، وليس من السهل التنبؤ بما سيفعلون في المستقبل … يجب أن نكون على حذرٍ تمامًا …

نوسة: لقد فكَّرت في خطة للإيقاع بهم.

نظر إليها الثلاثة في دهشة، وقال «تختخ»: خطة للإيقاع بهم مرةً واحدة؟! إنك طموحة جدًّا … إن المفتش «سامي» لا يستطيع أن يزعم هذا.

نوسة: إنها خطةٌ بسيطةٌ مبنية على فكرة أنهم يُراقبوننا.

تختخ: لا بأس … قولي يا «نوسة» … فأنتِ دائمًا خير من يُدبر الخُطط.

نوسة: إنهم يُراقبوننا، أليس كذلك؟

فقال «محب» بنفاد صبر: نعم إنهم يُراقبوننا … وبعد؟

نوسة: نقوم بعدة أعمال تلفت أنظارهم، بحيث يُحاولون مُهاجَمتنا ويكون المفتش ورجاله قريبين منا.

محب: ولكنهم لا يمكن أن يُهاجمونا ونحن أربعة … فسوف نُثير ضجةً كبيرةً تلفت الأنظار.

نوسة: لقد وضعت ذلك أيضًا في اعتباري … فسوف تتظاهرون بأنكم غادَرتم الحديقة إلى مكانٍ بعيد … وهم طبعًا سيرقُبون انصرافكم … وسأبقى هنا وحدي وأنزل إلى الحديقة، وما داموا يريدون أن يعرفوا الكلمات التي يحفظها «الماي ناه» فسوف يُحاولون خطفي … وفي هذه اللحظة يتدخل رجال المباحث ويقبضون عليهم.

أخذ الأولاد الثلاثة يفكرون في الخطة … كانت معقولة جدًّا … ولكن «تختخ» قال: إن هؤلاء الجواسيس — ككل الجواسيس — في غاية المهارة والذكاء … وفي الأغلب لن يُصدقوا هذه التحركات …

محب: وهناك احتمال إصابتك بأذًى!

نوسة: لقد أخطأت عندما سلَّمتهم الطائر … وأنا أريد أن أُعالج هذا الخطأ.

تختخ: دعكِ من لوم نفسك، إن هذا لن يُجدي … إنك لم تُخطئي، وبخاصةٍ أنهم حتى الآن لم يستطيعوا حمل الطائر على الكلام.

أخذ «محب» يتحسَّس رأسه ثم قال: أرجو أن تتركونا نأوي إلى فِراشنا الآن؛ فأنا مُتعَب.

عاطف: أؤيد هذا الاقتراح من كل جسمي المكسَّر … وليكُن موعدنا غدًا صباحًا لنُكمل الحديث.

واتَّجه «تختخ» للذهاب إلى منزله ومعه «عاطف»، وقام «محب» و«نوسة» للنوم.

عندما دخلا غُرفتهما بدأ «تختخ» و«عاطف» الحديث مرةً أخرى، فقال «تختخ»: إنني أُحسُّ بالخوف على «نوسة» … من المهم إبلاغ المفتش بما حدَث الليلة لولا أن الوقت مُتأخر جدًّا.

عاطف: دعك من هذه الأفكار واتركنا ننام … إنني مُتعَب جدًّا.

نظر «تختخ» إلى ساعته وكانت قد تجاوزت الثانية صباحًا بقليل … هل يتَّصل الآن ليضع حراسة على بيت «نوسة» أو أن هذا الوقت مُتأخر؟

كان «عاطف» قد انتهى من استحمامه، ولبِس ملابس النوم، ثم استلقى على السرير وهو يتأوَّه … أما «تختخ» فقد خرج إلى الشُّرفة، وجلس على كرسي وأخذ يحدِّق في الظلام وهو يفكِّر في الخطوة التالية … ولكن جلسته لم تَطُل … فقد هاجَمه النوم.

في صباح اليوم التالي استيقظ «تختخ» على يد تهزُّه، وعندها فتح عينَيه وجد وجه المفتش يُطلُّ عليه قائلًا: صباح الخير … ألمْ تنَم كفايةً؟ إن الساعة التاسعة.

أخذ «تختخ» يحدِّق قليلًا في وجه المفتش ثم قال: كنَّا نريد الاتصال بك أمس ليلًا … فقد مرَرنا بمغامرةٍ مُثيرة.

المفتش: مع من؟

تختخ: مع الجواسيس.

المفتش: غير معقول … لماذا لم تتَّصلوا بي؟

تختخ: كان ذلك بعد منتصف الليل.

المفتش: كنت ساهرًا في البيت … لقد قُمنا بتحليل كلمات الطائر، وقد توصَّلنا إلى أشياء كثيرة.

تختخ: ونحن أيضًا.

المفتش: كيف؟

تختخ: لقد استنتجنا أن الإشارات الضوئية … والهرم … ومنتصف الليل … تعني وجود موعد مع شخص في مكان … الموعد هو منتصف الليل والمكان هو الهرم … والشخص هو الذي سيُعطي الإشارة.

المفتش: هذا ما توصَّلنا له أيضًا.

تختخ: وقد ذهبنا إلى الهرم في الموعد … ولكن بدلًا من أن نرى إشارةً وجدنا الجواسيس واشتبكنا معهم … وللمرة الثانية استطاعوا أن يفلتوا منا. وروى «تختخ» للمفتش تفاصيل مغامرتهم الليلية، ثم نظر إلى فِراش «عاطف» فلم يجده، وانزعج قليلًا … ثم سأل المفتش: هل قابلت «عاطف» عند حضورك؟

المفتش: لا، لا.

تختخ: شيءٌ غريب … أين ذهب؟

وقفز مُسرعًا إلى الشُّرفة، ونظر إلى حديقة «الفيلا» التي وقع فيها الحادث، ثم عاد إلى الغُرفة يهزُّ رأسه ويبتسم … كان «عاطف» مع الشاويش يتحدثان.

قال «تختخ» للمفتش وهو يرتدي ملابسه: ألم تصلوا إلى شيء بخصوص عين السَّمكة؟

المفتش: لا!

تختخ: وسلسلة المفاتيح؟

المفتش: استطعنا بواسطتها أن نعرف عدة أماكن للجواسيس!

تختخ: عظيم … وهل قبضتم عليهم؟

المفتش: كانوا أسرع منا … لقد غيَّروا أماكنهم بسرعة … فوصَلنا بعد أن تلاشَوا في المدينة الواسعة.

تختخ: إنهم يسبقونكم دائمًا.

المفتش: ولكن ليس أبدًا ... إنهم سوف يقعون.

تختخ: نسيت أن أقول لك شيئًا ... لقد حاوَلوا خطف «نوسة»!

بدا الاهتمام على وجه المفتش وصاح: خطف «نوسة»؟ ... كيف؟

ومرةً أخرى روى «تختخ» للمفتش ما حدث ... والخطة التي اقترحتها «نوسة» ... فقال المفتش مُتأملًا: إنها خطةٌ معقولة جدًّا إذا وُضعت ونُفذت بمهارة ... استدعِ الأصدقاء؛ فإني أريد الحديث معهم.

ونزل المفتش و«تختخ» ثم حضر «عاطف»، وسُرعان ما حضر «محب» و«نوسة»، وقال المفتش: لقد حضرت هذا الصباح لأني كنت في حاجة إليكم ... كانت في ذهني خطةٌ معيَّنة ... ولكني الآن مُوافق على الخطة التي فكَّرت فيها «نوسة»!

وطلب المفتش من «نوسة» أن تُعِيد شرح خطتها، فشرحتها ... ووافَق عليها المفتش قائلًا: إننا سننفِّذ الخطة بحذرٍ شديد ... ستذهبون إلى «الكازينو» كأنكم تتنزَّهون وتجلسون هناك، وعندما يهبط الظلام ... سأنتظر مكالمة منكم لأتحرَّك ... ثم تذهبون إلى منزل «نوسة»، وتبقَون دقائق ثم تخرجون مرةً أخرى بدونها، وتمشون في اتجاه منزل «تختخ»، وتخرج هي وحدها كأنها تريد أن تلحق بكم ... وهنا ستتحرك العصابة، وسنكون في انتظارها. وقالت «نوسة» في نفسها: إن ظهور المفتش معنا هكذا لم يكن مُناسبًا ... فلو كانوا يُراقبوننا الآن، فإنهم سيعرفونه وسيكون في هذا تحذير لهم ... ولكنها أخفت ما فكَّرت فيه عن بقيَّة المغامرين، واشتركت معهم في مناقشة الخطة. وعندما حان وقت الغداء كانوا قد انتهَوا من رسم تفاصيلها لتنفيذها في الليل.

مفاجآت

عندما هَبط الظلام على المعادي ذلك المساء ... كان الأولاد الثلاثة يجلسون في «الكازينو» يتحدثون، وكان ضِمن الخطة التي وضعوها أن يتظاهروا بأنهم تخلَّوا عن المغامرة. وفي تلك الأثناء كانت «نوسة» تجلس وحيدةً، وتضايقت من الجلوس، فخرجت إلى شُرفة «الفيلا»، وخُيِّل إليها أنها تسمع صوتًا قريبًا منها ... صوتًا تعرفه ... صوت طائر «الماي ناه»، فنزلت سريعًا إلى الشارع ... وكان الظلام قد هبط. أخذت تُنصِت في اهتمام، ثم اتَّجهت بدون أن تدريَ إلى مصدر الصوت. كان هناك أرضٌ واسعةٌ خلف منزلهم قد تكاثَفت الأعشاب على جوانبها ... وكان الصوت يصدُر منها ... ودُهشت «نوسة» ... هل الطائر قد هرب وعرف مكانه الأول وعاد إليه؟! لقد اهتزت لسماع الصوت فلم تأخذ جانب الحذر ... هكذا لم تكَد تصِل إلى حافة الأرض وتقف مُنصتةً حتى امتدَّت إليها أربع أيدٍ قوية أغلقت فمها، ثم جرَّتها سريعًا إلى سيارةٍ انطلقت مُسرعةً ... وبعد فترة وجدت نفسها في كوخٍ خشبيٍّ مُضاء بلمبة غاز، وعرفت مصدر الصوت عندما وجدت أحد الخاطفين يحمل جهاز تسجيل ترانزستور، يصدُر منه صوت الطائر الأسود ... وكان يتحدث عن أشياء كثيرة ... ليس بينها الكلمات الهامة التي سمِعتها منه ... وتأكَّدت «نوسة» أن السر الكبير ما زال مِلكًا لها ولأصدقائها، وأن الجواسيس لا يعلمون عنه شيئًا.

أجلَسها أحد الرجال على كنبةٍ قديمة ... ولاحظت أن صاحب الكوخ الخشبي — وهو فلَّاحٌ عجوز — مُلقًى على الأرض مكمَّمًا ومُوثَّق اليدَين والقدمَين.

قال أحد الرجال مهدِّدًا: ستتكلَّمين حالًا وتقولين لنا ما قاله لك الطائر ... ليس هناك وقت فتكلَّمي فورًا!

ظلَّت «نوسة» صامتة، فعاد الرجل يقول: لا تُفكري أن أحدًا سيُنقِذك ... لقد استمعنا إلى خطتكم عن طريق جهاز لاسلكي دقيق وضعناه في حديقتك أمس ليلًا ... وللأسف إنكم

لم تتحدثوا عن الكلمات السِّرية، وإلا لما خطفناكِ ... فتحدَّثي الآن ... فلن يُنقِذك أحد ... وحصار الشرطة لم يبدأ بعد ... وأصدقاؤك بعيدون عنك.

لم تردَّ «نوسة»، فقال الرجل لزميله باللغة الإنجليزية: إننا لن نستطيع أن نقتلها؛ فهي مُهمَّة جدًّا ... وهذا الطائر اللعين لا يريد أن يقول لنا ما عنده!

وفكَّرت «نوسة» أنهم لو كانوا وضعوا الطائر بجوار جهاز تليفون، وسمِع الجرس، لقال لهم كل شيء ... ولكن هكذا أصبحت هي الوحيدة التي تعرف كيف تجعله يتحدث بالكلمات الهامة التي ينطقها بعد سماعه جرس التليفون.

كان الرجل الآخر يقول: هل نُعذِّبها؟

رد الأول: أفضِّل أن نأخذها معنا إلى الزعيم ... وهو حُر التصرف ... فنحن قريبون من حِصار الشرطة ... وقد يفتِّشون عنها بعد قليل ويصِلون إليها.

الثاني: ولكن كيف نمرُّ بها في الشارع؟ ربَّما عرفوا خطفها، ويفتِّشون السيارات.

الأول: سنمضي بها عبر النيل؛ فنحن قريبون منه، ولا أظنُّهم سيفكِّرون في حِصاره.

خرجا بها من الكوخ ... وكان الظلام قد تكاثف ... وبعد أن مرُّوا بالأرض المزروعة وصلوا إلى النيل، حيث كان يوجد زَورقٌ مُختفٍ تحت الأشجار الطويلة ... كانت «نوسة» مُستسلِمةً صامتة؛ فقد كان أحد الرجُلَين يحمل مسدَّسًا ضخمًا، ويبدو من وجهه الصارم أنه على استعداد لاستعماله في أي لحظة.

وفي تلك الأثناء كان الأصدقاء الثلاثة قد أتمُّوا تجهيز الخطة التي تصوَّروا أنها ستجذب الجواسيس إلى «الفيلا» ... وكان المفتش «سامي» ينتظر مكالمة منهم، فقال «تختخ»: والآن نتَّصل بالمفتش!

وأسرع إلى التليفون واتَّصل بالمفتش، ثم أسرع الثلاثة إلى منزل «نوسة»، وصعِد «محب» إليها لتنزل في الوقت المُناسب ... وكانت أول مفاجآت الليلة أنه لم يجدها في غُرفتها، وبحثَ في بقيَّة الغُرَف فلم يجدها ... ولم يكن والداه في المنزل في تلك الساعة، فأسرع نازلًا ... وعندما اجتمع الثلاثة معًا ... أدركوا أن شيئًا غير عادي قد حدَث لـ «نوسة»!

قال «عاطف»: هل خطفوها؟

تختخ: لا أدري. ولكن كيف؟ لقد طلبنا منها ألا تتحرك!

محب: وماذا نفعل؟

عاطف: ننتظر وصول المفتش ... إن المسألة أصبحت أخطر من أن نُعالجها وحدنا.

تختخ: ولكن حتى حضور المفتش سيكون وقتٌ هام قد ضاع ... لا بد أن نتصرف بسرعة.

عاطف: إنهم دُهاة حقًّا هؤلاء الجواسيس، نحن نضع الخطط وهم يسبقوننا في كل مرة.

محب: المهم الآن، ماذا نفعل؟

تختخ: هناك حلٌّ واحد!

محب: ما هو؟

تختخ: أن نذهب فورًا إلى الهرم ... إن الهرم هو المنطقة التي تدور فيما أهم الأحداث ... وهناك رجال للمفتش «سامي» يُراقبون كل شيء.

عاطف: لقد آن الأوان لأن يتدخل «زنجر» في المغامرة ... إنه يعرف رائحة «نوسة» جيدًا، ولو أخذناه معنا فسيكون مُفيدًا جدًّا.

محب: المهم أن نتَّصل بالمفتش «سامي».

تختخ: تعالَوا نذهب لإحضار «زنجر» من منزلنا أولًا، ومن هناك نُعاود الاتصال بالمفتش «سامي»، فإذا وجدناه قد غادَر مكتبه نترك له رسالة في المكتب، ونترك له رسالة في منزلنا أيضًا.

وأسرعوا إلى منزل «تختخ» لإحضار «زنجر»، وما كادوا يقتربون من المنزل حتى وجدوا شحَّاذًا يتعرَّض لهم، فتضايَقوا؛ فلم يكُن عندهم وقت يُضيعونه ... ولكن الشحَّاذ كان مُلحًّا، فتوقَّف «تختخ» ليُعطيَه قرشًا، وفجأةً قال الرجل: إننا قد وصَلنا ... المفتش «سامي» ورجاله قريبون من هنا.

وفكَّر «تختخ» قليلًا، قد يكون هذا الرجل من العصابة، ولكن لم يكن عنده وقت للبحث، فقال: أسرِع إلى المفتش «سامي» وقُل له إن «نوسة» قد خُطفت، وإننا نريد سيارةً تذهب بنا فورًا إلى الهرم ... إننا نعتقد أنهم نقلوها إلى هناك.

قال الرجل: انتظِروني وسأعود إليكم فورًا.

كان «تختخ» قد أحضر «زنجر» من الحديقة، ووقف أمام الباب، ولم تمضِ سوى دقائق قليلة حتى اقتربت منهم سيارة ثم توقَّفت، ونظر الأولاد داخلها، وشاهَدوا رجل الشرطة المتنكِّر، فقفزوا إليها، ومضت السيارة مُنطلقةً كالسهم، وبعد أقل من ساعةٍ كانوا يُشرِفون على منطقة الأهرام ... وعندما توقَّفت السيارة بهم نزلوا ... لم تكُن في أذهانهم خطةٌ معيَّنة، فقرَّروا أن يعتمدوا على «زنجر» أولًا.

وقال «تختخ» للكلب الذكي: إننا نبحث عن «نوسة» ... «نوسة»، هل تفهم يا «زنجر»؟ وقف الكلب رافعًا رأسه في الفضاء يتشمَّم حوله ... ومضى يمشي ويدور وهم واقفون

ينتظرون ما يفعل ... ولكنه عاد إليهم مُنكَّس الرأس ... فقال «محب»: إننا نضحك على أنفُسنا ... كيف نتصور أن يتمكن «زنجر» من العثور عليها في منطقةٍ واسعة كهذه المنطقة؟ إننا كمن يطلب منه أن يشمَّ أثر عُصفور صغير في الصحراء الكبرى.

وقفوا يتناقشون في عصبية ... ثم ظهر المفتش ومعه بعض رجاله ... وروى «تختخ» بسرعةٍ كل ما حدَث ... فقال المفتش: الأمل الوحيد أن تقول لهم «نوسة» على الكلمات الخاصة بالهرم، وعن منتصف الليل، فيحضُروا وتكون فرصتنا.

وكانت «نوسة» الذكيَّة قد قالت المطلوب تمامًا.

فعندما وجدت نفسها في مَقرِّ الزعيم أدركت أن الفرصة الوحيدة لإيقاع الجواسيس في الفخ هي أن تقول لهم على الهرم والإشارات الضوئية، فيذهبوا إلى هناك ... وتمنَّت أن يكون الأصدقاء قد فكَّروا في الشيء نفسه، وأن يكونوا قد حضروا مع المفتش «سامي» إلى الهرم بعد أن يكتشفوا غيابها.

كان الجواسيس قد أجلسوها في دائرةِ ضوءٍ شديد، على حين وقف الزعيم في الظلام يتحدث فلم تستطع رؤيته، ولم تقُل «نوسة» أكثر من بضع كلمات ... الكلمات التي تؤدِّي بالجواسيس إلى الهرم ... ولم تقُل أكثر من هذا.

ولكن الزعيم كان أذكى مما تصوَّرت بكثير ... فقد سمِعته يقول لرجاله: إن المفتش ورجاله يعرفون الآن هذه المعلومات أيضًا ... ومن المؤكَّد أنهم سينتظروننا هناك ... إننا لو ذهبنا إلى الهرم مرةً أخرى فسنقع في أيديهم. لقد كنت أرجو أن أحصل من هذه الفتاة على المعلومات التي نصل بها إلى العميل، ولكن سلامتنا أصبحت أهم من كل شيء.

أحسَّت «نوسة» بقلبها يسقط في قدمَيها عندما سمِعت هذا الكلام ... لقد اتَّضح لها أن هذا الرجل أذكى مما تصوَّرت بكثير ... إنه يُفلِت من كل فخ بذكائه ... وأدركت أنها في مَوقفٍ خطير ...

قال الزعيم: إنني سأخرج الآن للعمل ... وخطوتنا القادمة أن نجهِّز أنفُسنا للسفر فورًا حسب الخطة ... لم يبقَ لنا بقاء في مصر؛ فسوف يصل إلينا رجال الأمن، فهم خَلْفنا ... جهِّزوا حاجيَّاتنا، والحقوا بي هناك.

قال أحد الرجال: وهذه الفتاة؟!

الزعيم: اربطوها جيدًا وكمِّموها واتركوها هنا ... إما أن يعثروا عليها في الوقت المُناسب ... وإما ...

وخرج الزعيم بدون أن يُتمَّ جُملته ... ولكن «نوسة» فهمت كل شيء ... سوف يتركونها في هذا المكان لتموت.

خرج الزعيم ... وأحسَّت «نوسة» بالأيدي تُحيط بها وتربطها، وانطفأت الأضواء، وسمِعت الرجال في الغُرفة الأخرى يجمعون أشياءهم ... وأدركت أن كل شيء قد انتهى ...

في هذه الأثناء كان رجال المفتش «سامي» قد وزَّعوا أنفُسهم حول الأهرامات الثلاثة ... على حين جلس الأصدقاء صامتين، ومن بعيدٍ كانت ثَمَّة قطعةٌ موسيقية تنساب في الظلام، موسيقى راقصة ... كان «عاطف» يستمع إليها، وفجأةً قفز واقفًا وصاح: موسيقى! الموسيقى!

وقف «محب» و«تختخ» في ذهول، وقال «تختخ» في دهشة: ماذا حدث لك؟ ألمْ تسمع موسيقى من قبل؟

عاطف: موسيقى ... لقد عرفت السر ... إنني أعرف زعيم الجواسيس!

محب: هل جُنِنت؟ ما دخل الموسيقى بزعيم الجواسيس؟

عاطف: هل تذكُر يا «محب» فِرقة «فلاينج فش Flying Fish»؛ أي السَّمكة الطائرة؟

محب: أذكُرها ... فعندما حضرت منذ ثلاثة شهور حضَرنا أول حفلة صباحية لها في النادي، ثم قرأت أن الفِرقة تعاقَدت بعد ذلك للعمل في مَلهى «الضوء الذهبي».

عاطف: هيَّا حالًا إلى الملهى.

محب: لماذا؟

عاطف: لا تسألني الآن ... هيَّا بنا.

وقفز الثلاثة ومعهم «زنجر» إلى السيارة التي انطلقت بهم إلى طريق الإسكندرية الصحراوي، حيث يقع الملهى قريبًا من حيث يجلسون. ووقفت السيارة، ودخل معهم رجل الشرطة إلى الملهى ... كان «تختخ» في دهشة؛ فقد كان «عاطف» يبدو ككلب صيد عَثر على فريسة ... ودخلوا الملهى، وكانت فِرقة «فلاينج فش» تؤدِّي أغانيَها الراقصة ... ولم يكَد «عاطف» يرى أعضاء الفِرقة حتى أمسك بذِراع «محب» بقوةٍ آلَمَته وقال: لقد وجدته ... كان في إمكاني أن أعرفه منذ ليلة أمس في الهرم ... اذهب فورًا بالسيارة إلى المفتش وأحضِره هو ورجاله، ودَعهم يُحيطون بالملهى ...

خرج «محب» مُسرِعًا وركِب السيارة بعد أن ترك الكلب لعل الصديقَين يحتاجان إليه ... وفي داخل الملهى كانت الفِرقة تؤدِّي نمرتها بمهارة وتنتزع التصفيق ... وبعد بضع دقائق انتهت من العزف ... وظلَّ التصفيق يدوِّي طويلًا حتى تعزف الفِرقة مزيدًا من موسيقاها، واشترك «تختخ» و«عاطف» في التصفيق ... فقد كانا يتمنَّيان أن تستمرَّ الفِرقة أطول وقت لحين وصول رجال المفتش «سامي» ...

ولكن الفِرقة غادرت مكانها ... ولاحَظ «عاطف» أنهم يُسرِعون أكثر من اللازم، فمال على «تختخ» قائلًا: لقد لمحونا ... لا بد أن أحدًا أخطرهم بوجودنا ... تعالَ بسرعة!

وانسحب الصديقان مُسرِعَين ... ثم أسرعا إلى حيث يقف الكلب ووقفوا ينتظرون ... وكما توقَّع «عاطف» خرج أعضاء الفرقة مُسرِعين ليُغادروا الملهى ... وصاح «عاطف»: هذا هو الرجل!

وأشار «عاطف» إلى رجلٍ يلبس نظَّارةً سوداء.

ثم انطلق مع «تختخ» والكلب إلى الرجال الخمسة، وكان عددٌ من رُوَّاد الملهى يُغادرونه وآخرون يدخلون ... كما يقف بعض مُنادي السيارات وأحد رجال الشرطة، فصاح «عاطف»: اقبِضوا على هؤلاء الرجال ... إنهم جواسيس!

توقَّف الرُّوَّاد ... ولم يصدِّق أحدٌ كلام «عاطف»، وكان الرجال يهمُّون بركوب سيارتهم، فانقضَّ الولدان والكلب عليهم ... وكان الزعيم ذو النظَّارة السوداء أسرعهم، فقد غادَر السيارة، وانطلق في الظلام ... وترك «تختخ» «عاطف» وبقيَّة الناس الذين تجمَّعوا حول السيارة ليعرفوا ما يحدُث، وانطلق هو خلف الزعيم ... وكان الرجل سريعًا كالغزال، ولكن «تختخ» برغم سِمنته انطلق خلفه كالسهم ... ثم تذكَّر مسدَّس الصوت، فأخرجه من جيبه وأخذ يُطلِقه مُحدِثًا أكبر ضجَّة مُمكِنة للَفْت الأنظار إليه ...

التفت الرجل فجأةً إلى «تختخ» وانقضَّ عليه ... ودارت معركةٌ رهيبة ... كان الرجل قويًّا، فضرب «تختخ» لكمةً أسقطته على الأرض، ثم حاوَل إخراج مسدَّسه، ولكن «تختخ» انقضَّ عليه ليشلَّ حركته ... ومرةً أخرى استطاع الرجل أن يقذف «تختخ» بعيدًا ... وأخذ مسدَّسه ورفع يده ليصوِّب طلقة ... ولكن في هذه اللحظة انطلقت رصاصةٌ مدوِّية أصابت يده ... وظهر المفتش «سامي» يقول: لا داعيَ للاستمرار أيها الجاسوس ... إنك مُحاط برجالي!

وسقطت الأضواء الكاشفة على وجهه ... وقام «تختخ»، ثم مدَّ يده إلى نظَّارة الجاسوس فرفعها، وقال: عين السَّمكة!

عندما اجتمع المفتش مع الأصدقاء في صباح اليوم التالي في حديقة المنزل ... كانت «نوسة» تبتسم وهي تتذكر «تختخ» عندما دخل مع رجال الأمن وفكُّوا وثاقها ... لقد كانت بالنسبة لها ذِكرى لا تُنسى ... أما المفتش فقد كان يحمل إلى الأصدقاء تحيَّات وتقدير الدولة لدورهم في كشف شبكة الجواسيس ... بالقرب منهم جلس «زنجر».

وعلى مائدةٍ صغيرةٍ كان طائر «الماي ناه» في قفصه يتحدث.

قال المفتش: لقد وقعوا جميعًا واعترفوا بكل شيء …

تختخ: وهل عرفتم كل شيء عنهم؟ معنى الكلمات التي يقولها الطائر؟

المفتش: طبعًا … لقد كان الجاسوس الذي قتلوه هو المسئول عن جمع المعلومات، وله عميلٌ يتَّصل به عن طريق الإشارات الضوئية في الهرم … وكانوا يريدون منه أن يعرفوا هذا العميل، ولكنه رفض … ثم أحسُّوا أنه مُراقَب منا … وأننا عن طريقه نستطيع الوصول إليهم، فقتلوه في الوقت المُناسب، وقد وقَع العميل في يدنا ليلة أمس … لقد ذهب إلى الهرم وأطلق إشاراته الضوئية … وكنا في انتظاره.

وصمت المفتش قليلًا ثم قال: والآن قُل لنا يا «عاطف»، كيف عرفت عين السَّمكة؟

عاطف: كانت البداية عندما ذهبنا إلى سوق السمك لنتفرَّج على السمك … لقد قُلنا يومها إن عين السَّمكة عين لا تُغلَق لأنها بلا أجفان، لها نظرةٌ ميتة … ثم كانت ليلة أول أمس عندما اشتبكنا معهم عند الهرم الأصغر … فقد وقَع ضوءٌ سريع على وجه الزعيم … ورأيته. كانت في عينَيه نظرةٌ ساكنةٌ ميتة … منذ تلك اللحظة أحسست أني رأيته من قبل … كانت صورته تلمع في ذِهني ثم تختفي … وأمس ليلًا سمعت الموسيقى وتذكَّرت كل شيء … لقد شاهَدنا هذا الرجل عن قُرب في المَلهى، وتذكَّرت النظرة نفسها … إنها نظرة سمكة ميتة … ذلك أنه فيما يبدو قد أُصيبَ بحروق في وجهه أدَّت إلى احتراق جَفنَيه، وهكذا تبدو عيناه مفتوحتين … عين السَّمكة … بلا أهداب ولا أجفان …

نوسة: إن هذا ما يُسمُّونه في علم النفس التذكُّر بالترابط؛ فقد ربطت بين عدة أشياء أدَّت إلى هذه النتيجة.

قام المفتش ومدَّ يده يسلِّم عليهم وهو يبتسم لهم … فقد أثبت المغامرون الخمسة أنهم أذكياء … وقدَّموا خدمة للوطن لا تُقدَّر بمال.

وفي هذه اللحظة دقَّ جرس التليفون القريب منهم، فانطلق طائر «الماي ناه» يصيح: الهرم … الإشارات الثلاث … عين السَّمكة … وابتسموا جميعًا.

وقامت «نوسة» لتكتب خطابًا إلى «لوزة» بكلِّ ما حدَث.


هنداوي